



سلسلة مكتبة الطلاب



12.5.2012

الشيخ والبحر

للكاتب الأميركي
أرنست همنغواي



نقلها إلى العربية: منير البعلبكي

الشيخ والبحر

للكاتب الأميركي العظيم
أرنست همنغواي

نقله الى العربية
منير البعلبكي



الشيخ
والجبر

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

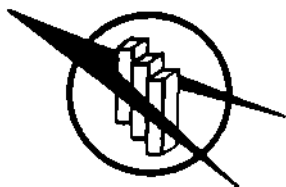
شارع ساراليس، بناية ميكر، الطابق الثاني

هاتف: ١١١ ٣٠٦ - ٧١٦٥٥ - ٧١٦٥٦

فاكس: ١٦٥٧ ٥١١٨

عرب ١٠٨٥ بيروت - لبنان

www.malayia.com



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعارة أو اقتباس جزء من هذا الكتاب في أي شكل
من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية
أو الإلكترونية أم ميكانيكية - بما في ذلك النسخ المقتطفة
والسجلات على أشرطة أو وسائط أخرى تحت أي شكل من أشكالها
أو دون إذن خطي من الناشر.

السج والبحر

THE OLD MAN AND THE SEA

**by
ERNEST HEMINGWAY**

كان رجلاً عجوزاً يصيد السمك وحده في قارب عريض
 القمر في « تيار الخليج » ، وكان قد سلخ أربعة وثمانين
 يوماً من غير أن يفوز بسمكة واحدة . وفي الأيام الأربعين الأولى
 كان يصحبه غلام صغير . حتى إذا قضى أربعين يوماً من غير
 أن يوفّق إلى صيد ما ، قال أبوا الغلام لابنها ان الشيخ
 منحوس نحساً لا ريب فيه ولا براء منه ، وسألاه ان يعمل في
 قارب آخر ما لبث أن فاز بثلاث سمكات رائعات في الاسبوع
 الاول . ولقد أحزن الغلام أن يرى الشيخ يرجع كل يوم
 خالي القارب ، فكان ما يفتأ يمضي للقائه ويساعده في
 حل صنائره الملتفة أو محججه وحربونه . . والشرع المطوي
 حول السارية . وكان الشرع مرقعاً بأكياس دقيق عتيقة ، فهو
 يبدو وقد طوي على هذه الشاكلة أشبه ما يكون براية الهزيمة
 السرمدية .

وكان الشيخ معروفاً شاحباً انتشرت في مؤخر عنقه تجاعيد
 عميقة ، وعكّت خديه القروح السمراء الناشئة عن سرطان الجلد

• Gulf Stream وهو تيار اوقيانوسي دافئ ينبثق من خليج مكسيكو ويمر
 شمالاً في عازة الساحل الأميركي ومن ثم يتخذ اتجاهًا شماليًا شرقياً نحو الجزر
 البريطانية .
 (المغرب)

• • المربون : ربح مريش لسمك الحيتان .
 (المغرب)

غير المؤذي الذي هو ثمرة انعكاس الشمس على صفحة المياه في المناطق الاستوائية . وكانت تلك القروح تغطي جانبي وجهه ، على حين كانت في يديه ندوب عميقة الغور خلفتها الحبال التي علقت في أطرافها ضروب من الاسماك الثقيلة . ولكن أباً من هذه الندوب لم يكن غصاً . كانت قديمةً قِدَم التآكل في صحراء خلوا من السمك .

كان كل شيء فيه عجوزاً خلا عينيه ، وكان لونها مثل لون البحر . وكانتا مبتهجتين بإسنتين . وقال له الغلام فيما هما يصعدان الضفة بعد أن دفعا القارب إلى اليابسة .

- « سانتياغو ! في استطاعتي أن أذهب معك من جديد . لقد فرنا بشيء من المال . »
كان الشيخ قد علّم الصبي صيد السمك ، وكان الصبي يحبه .

وقال الشيخ :

- « أنت تعمل الآن على ظهر مركب محظوظ . إبقَ حيث أنت . »

- « ولكن اذكر كيف سلخت سبعة وثمانين يوماً من غير أن توفّق إلى سمكة واحدة ثم تدفقت علينا الاسماك الكبيرة ، فكنا نصطاد منها كل يوم عدداً غير يسير ، طوال أسابيع ثلاثة . »

فقال الشيخ :

- « أذكر ذلك . أنا أدري جيداً ان فراقك لي لم يكن ناشئاً عن شكوكك . »

– « بابا هو الذي أكرمني على فراقك . أنا ما أزال غلاماً صغيراً ، ويتعين عليّ أن أطيعه . »
فقال الرجل العجوز :

– « أدري . هذا شيء طبيعي جداً . »
– « ليس لديه إيمان . »

فقال الشيخ :

– « لا . أما نحن فإيماننا قوي . أليس كذلك ؟ »
فقال الغلام :

– « نعم . هل أستطيع أن أقدم اليك شيئاً من الجمعة في « السّطيحة » ، ثم نحمل هذه الأدوات كلها إلى البيت ؟ »

فأجابه الشيخ :

– « ولم لا ؟ سوف أشربها بين الصيادين . »
وجلسا على « السّطيحة » ، وأنشأ عدد من الصيادين يسخر من الرجل العجوز ، ولكن ذلك لم يستر غضبه قط . أمسا الصيادون الشيوخ فنظروا اليه وقد عصر الحزن قلوبهم . ولكنهم لم يُظهروا ذلك ، وراحوا يتحدثون في كياسة عن التيار ، والأعماق التي قذفوا بخيوطهم اليها ، والجوّ الجميل المتواصل ، وعمّا شاهدوه . وكان الصيادون الذين فازوا برزقهم ذلك النهار قد دخلوا ، وشقّوا بطون أسماكهم وحملوها – ممدّدة على لوحين خشبيين كان رجلان يترنحان عند طرف كل منها – إلى المسمكة حيث انتظرت سيارة الثلج الكبيرة لتقلتها إلى السوق في هافانا . وكان الذين اصطادوا اقراشاً . قد حملوها إلى مصنع

• جمع قرش ، وهو سمك ضخم شبيه بكلب البحر . (المغرب)

الاقراش في الضفة الاخرى من الخليج ، حيث توضع على
الآلات الرافعة وتُزال أكبادها ، وتُقطع زعانفها ،
وتُنزع جلودها ، ويقطع لحمها قِداً يُصار بعدُ إلى
تمليحها .

وحين نهبَ الريح من ناحية المشرق كانت روائح مصنع
الاقراش تملأ جنبات المرفأ . أما اليوم فلم تبلغ المرفأ غير رائحة
واهنة لأن الريح انقلبت إلى الشمال ثم همدت فجأة . وكان الجو
جميلاً مشمساً على « السطحة » .

وقال الغلام :

« سانباغور ! »

فأجابه الشيخ :

« نعم ! » . كان حاملاً كأسه يفكر في الايام الخالية .

« هل تريد أن أذهب وآتيك بشيء من السردين تستعين

به على الصيد غداً ؟ »

« لا . إذْهَبْ والعَب اليبسول . أنا لا أزال قادراً على

التجذيف . وسوف بلقي روجيليو الشبكة . »

« كم أحب أن أذهب . وإذا كنت لا أستطيع أن

اصطاد معك فليس يمنعني ذلك من أن أخدمك بطريقة ما . »

فقال الشيخ :

« لقد قدمت إليّ كأساً من الجمعة . ويبدو لي أنك صرت

رجلاً قبل الاوان . »

« كم كان عمري عندما اصطحتني ، أول مرة ، في

قارب ؟ »

« خمس سنوات . ولقد كدتُ تُقتل عندما حملتُ السمكة

وكانت ما تزال غضة العود ، فكادت تمزق القارب إرباً إرباً .
هل تذكر ؟ »

- « أستطيع أن أذكر ذنبها يضرب ويخبط ، ومقعد
التجذيف ينكسر ، والدوي الذي أحدثه ذلك التضرب .
أستطيع أن أذكر كيف قلقتُ بي إلى مقدم المركب حيث
كانت الحياوط الندية الملتفة . لقد شعرت بالمركب كله يرتجف ،
وسمعت صدى ضربك للسكنة الضخمة وكأنك تبحثُ
بالفأس شجرة من الأشجار ، وشممت رائحة الدم العذبة تفوح
من حولك . »

- « هل تذكر ذلك حقاً أم اني أنا الذي حدثتك به ؟ »
- « أنا أذكر كلّ ما وقع لنا منذ أوّل يوم انطلقنا
فيه معاً . »

ونظر الشيخ العجوز اليه بعينين ناضحتين بالحب والثقة ،
عينين لوحتها أشعة الشمس ، وقال :

- « لو كنتَ ولدي لانطلقتُ بك وغامرتُ ولكنك ابن
أبيك وأملك ، وأنت تعمل على قارب محظوظ . »
- « هل آتيك بالسردين ؟ في استطاعتي أن أجيء بأربعة
أطعام . » أنا أعرف من أين . »
- « لا تزال أطعام اليوم عندي . لقد وضعتها في الصندوق
وغمرتها بالملح . »

- « دعني أذهب وآتيك بأربعة جديدة . »

فقال الشيخ :

- « جئ بواحد فقط . »

• جمع طم (بضم الطاء) وهو ما يلقى الى السك ليصطاد .

إن أمله وثقته لم يعترهما الوهن قط . ولكن الانتعاش دب فيها كما يتعشان حين يهب النسيم العليل .
فأصر الصبي :

« بل بائنين . »

فما كان من الشيخ إلا أن أقره قائلاً :

« لا بأس ، لئني بائنين . أنت لم تسرقها ؟ »

« أنا لا أعف عن ذلك . أما هذه الاطعام فقد

اشريتها . »

فقال الشيخ :

« شكراً . »

كان أبسط من أن يسأله متى تعود الاذعان . ولكنه عرف أنه تعود ، وعرف انه غير معيب ، وليس يضير الكبرياء الحقيقية على الاطلاق .

وقال :

« سوف يكون الجو رائقاً ، غداً ، بعد هذا التيار . »

وسأله الغلام :

« إلى أين تريد أن تذهب ؟ »

« إلى أبعد ما أستطيع ، لكي أعود حين تتحول الريح . »

يجب أن أنطلق قبل أن يبرز الفجر . »

فقال الغلام :

« سوف أحاول أن أحمل معلمي على الانطلاق إلى عرض

البحر . وهكذا يكون في استطاعتي أن أسارع لمساعدتك إذا

اصطدت شيئاً كبيراً حقاً . »

« إنه لا يجب الانطلاق إلى مدى بعيد . »

فقال الغلام :

- « هذا صحيح . ولكني أحاول أن أرى شيئاً لا يستطيع
هو أن يراه : ولنقل انه طائر يختلس شيئاً ، وعندئذ أغريه
بالجري وراء الدلفين . »

- « هل يشكو ضعفاً في البصر ؟ »

- « إنه أعمى تقريباً . »

فقال الشيخ :

- « هذا شيء غريب . ذلك لأنه لم يصطد السلاحف البحرية

في يوم من الايام . وهذا هو الذي يقتل المينين . »

- « ولكنك سلخت عدة سنوات تصطاد السلاحف في

« ساحل البعوض » ، ومع ذلك فعيناك جيدتان . »

- « أنا عجوز غريب . »

- « ولكن هل تظن انك لا تزال من القوة بحيث نستطيع

أن تصطاد سمكة كبيرة ، كبيرة حقاً ؟ »

- « أظن ذلك . وإلى هذا فهناك حيل كثيرة . »

فقال الغلام :

- « فلنحمل هذه الأدوات كلها إلى المنزل . وهكذا

أستطيع أن آخذ الشبكة الخاصة بصيد السردين واصطاد منه
شيئاً كثيراً . »

وجمعا العدة من القارب . وحمل الشيخ السارية على

كتفه ، وحمل الغلام الصندوق الخشبي المنطوي على الخيوط

السراء الملتفة المضفورة ضفراً محكماً ، والمحجن ، والحربون .

وكان صندوق الأطعمة في مؤخر القارب إلى جانب الهراوة التي

تُصطنع لاختضاع السمكات الضخام بعد اصطيادها وجذبها .

إن أحداً لن يسلب الشيخ 'عدته' . ومع ذلك فمن الخبير أن 'يحمل الشراع' والخيوط الثقيلة إلى البيت ما دام النسيج يؤذيها . وعلى الرغم من أن الشيخ كان على مثل اليقين من أن أحداً من أهل البلد لن يسرقه ، فقد قال في ذات نفسه إن في ترك 'مِحْجَن' وحربون في قعر قارب ما إغراء بالسرقة لا داعي له .

وتقدما معاً نحو كوخ الشيخ ، وولجنا بابه المشرع . وأسند الرجل العجوز السارية وشراها المطوي إلى الجدار ، ووضع الغلام الصندوق وسائر الأدوات إلى جانبها . وكان طول السارية يكاد يبلغ طول الغرفة الوحيدة التي يتألف منها الكوخ . وكان الكوخ مبنياً بتلك المادة الصلبة التي يدعونها « غوانو » Guano والتي لا تعدو أن تكون سعف النخلة الملكية المتراكم . وكان فيه سرير ، وطاولة ، وكرسی . وكان الطبخ يجري على الفحم في جانب من أرضه القنطرة . وعلى الجدران السمراء ، حيث برزت ههنا وههنا أوراق الـ « غوانو » المذلة المتراكبة ذات النسيج الصلب ، كانت صورتان ملونتان : أحدهما تمثل قلب يسوع الاقدس والآخرى تمثل عنراء كوبر ، وكانت هاتان الصورتان من آثار زوجته . وذات يوم كان الجدار مزداناً بصورة ملونة لزوجه نفسها ، ولكن شعور الشيخ بالوحدة كان يتماظم كلما نظر إليها . وهكذا نزعها عن الجدار ووضعها على الرف الذي في وسط الغرفة تحت قيصه التنظيف .

وسأله الغلام :

— « ما عندك من الطعام ؟ »

- « قدير من الأرز المزعفر . مع السمك . أنحب أن تأكل شيئاً من ذلك ؟ »

- « لا . سوف آكل في البيت . هل أضرم لك النار ؟ »

- « لا . سأضرمها في ما بعد . وقد آكل الأرز بارداً . »

- « هل أستطيع أن آخذ شبكة صيد السردين ؟ »

- « طبعاً . »

ولم تكن عند الشيخ شبكة خاصة بصيد السردين ، وكان الغلام يذكر أنه قد باعها . ولكنها كانا يمثلان هذه الكوميديا الصغيرة كل يوم . ولم تكن ثمة قدر من الأرز المزعفر مع السمك . وكان الغلام يعرف ذلك أيضاً .

وقال الشيخ :

- « إن الخمسة والثمانين رقم سعيد . فإذا تقول لو رأيتني

راجعاً بسمكة ترن أكثر من ألف رطل ، في قاربي ذاك ؟ »

- « سوف آخذ الشبكة وأمضي لصيد السردين . هل لك أن

تقعد عند المدخل تحت أشعة الشمس ؟ »

- « أجل . عندي جريدة البارحة ، وأحب أن أطلع

الصفحة الخاصة بالبيسبول . »

ولم يدرِ الغلام ما إذا كانت جريدة البارحة جزءاً من

الكوميديا أيضاً . ولكن الرجل المعجوز سحبها من تحت السرير .

ثم أوضح :

• زمفر الطمام : وضع فيه الزعفران .

- « لقد أعطاني بيريفو إياها في الـ « بوديفا » .
 - « سوف أعود حين أحصل على السردينات . وسوف أبقى حصتك وحصتي في الثلج ، وغداً صباحاً نقسمها . وعندما أرجع تحدّثني حديث البيسول . »
 - « اليانكيون . لا يمكن أن يهزموا . »
 - « ولكني أخشى هنود كليفلند . »
 - « ليكن إيمانك باليانكيين قوياً ، يا بُنيّ . فكّر في دي ماغير العظم . »
 - « أنا أخشى أثمار ديبرويت وهنود كليفلند في وقت واحد . »
 - « كن حذراً ، وإلاّ خشيت حمر سينسيناتي ، وجوارب شيكاغو البيضاء . »
 - « أدرُسها ، وخبّرني عندما أعود . »
 - « ألا ترى ان علينا أن نشري ورقة بانصيب متتهية بخمسة وثمانين ؟ غداً هو اليوم الخامس والثمانون . »
 - فأجابه الصبي :
 - « هذه فكرة . ولكن ما قولك بالسبعة والثمانين التي بلغها رقمك القياسي الكبير ؟ »
 - « لن يقع ذلك مرتين . هل تظنّ أن في استطاعتنا أن نجد ورقة تنتهي بخمسة وثمانين ؟ »
 - « في إمكانني أن أطلب واحدة . »
 - « عشر ورقة فقط . وهذا يساوي دولارين ونصف . بمنّ
-
- Yankree لفظ يطلق على سكان الولايات الاميركية الشالية على وجه الخصوص .
(المغرب)

نستطيع أن نفترض هذا المبلغ ؟ »

- « هذا شيء سهل . في فيسوري دائماً أن أجود من يفرضني دولارين ونصف . »

- « وأحسب أنني أنا أيضاً قادرٌ على ذلك . ولكني لا أحاول أن استدين . إن المرء يستدين أولاً ، ثم يستعطي . » فقال الصبي :

- « التحيف جيداً ، أيها الشيخ . تذكر أننا في أيلول . »

- « شهر السمكات الكبار . إن أيما إنسان يستطيع أن يعمل صياداً في نوار . » فقال الصبي :

- « سوف أمضي التماساً للسردين . »

وحين رجع الفتى ، كان الشيخ نائماً في الكرسي ، وكانت الشمس قد غربت . ورفع الفتى البطانية العسكرية العتيقة عن السرير ونشرها على ظهر الكرسي وفوق كتفي الرجل المعجوز . كانتا كتفين غريبتين ، فهما ما تزالان قويتين برغم أن صاحبهما طاعن في السن . وكانت العنق لا تزال قوية ايضاً . وما كانت التجاعيد لتظهر كثيراً في هذا الوضع الذي انحنى فيه رأس الشيخ الى أمام . وكان قبضه قد رُقع مرات عديدة حتى لأصبح أشبه ما يكون بالشرع ، وكانت الرقع قد اتخذت ، بعد أن أنصبتها الشمس ، الف لون ولون . ومع ذلك فقد كان رأس الشيخ هرماءً جداً ، ولم تكن على وجهه ، وقد أغضض عينيه ، أثارة من حياة . وكانت الصحيفة ملقاة على ركبته ، وكان ثقل ذراعه يجلسها هناك برغم نسيم المساء . أما قدماه

فكاننا حافيتين .

وتركه الغلام مسترسلاً في رقاده ، وغاب عنه من جديد .
حتى اذا عاد ألفاه نائماً ما يزال .

- « انهض أيها الشيخ ! قال الغلام ذلك ووضع يده على
لأحدى ركبتي الرجل المعجوز .

وفتح الشيخ عينيه . وبدأ لحظة وكأنه يحاول أن يتزع نفسه
من أعماق حلمه . ثم افترت شفاه عن ابتسامة وسأله :

- « ما هذا الذي معك ؟ »

فأجابه الغلام :

- « طعام العشاء . سوف نتناول طعام العشاء . »

- « أنا لست جائعاً جداً . »

- « هيا ، تناول طعامك . أنت لا تستطيع أن تصطاد

السك اذا لم تأكل . »

- « لقد وقع لي هذا من قبل . » قال الشيخ ذلك

ونهض فتناول الصحيفة وطواها . ثم انه شرع بطوي
البطانية .

فقال الصبي :

- « أبقى البطانية عليك . أنت لن تنطلق للصيد من غير

أكل ما دمت أنا حياً . »

فقال الشيخ :

- « إذن فعيش دهرأ طويلاً واعتنِ بنفسك . ما الذي سوف

تأكله ؟ »

- « لوبياء سوداء ، وأرز ، وموز مقلي ، وشيء من

اللحم المطبوخ . »

كان الغلام قد أتى بذلك كله من « السطيحة » في سَطِيحة ذات طَبَقَتَيْن . وكان قد وضع السكيتين والشوكيتين والمملعتين في جيبه ، وجعلها مجموعتين مستقلتين ولفَّ كلاً منها بمنديل من ورق .

— « من أعطاك هذا ؟ »

— « مارتن . صاحب السطيحة . »

— « يجب أن أشكره . »

— « لا داعي إلى ذلك . فقد شكرته أنا . »

فقال الشيخ :

— « سوف أعطيه لحم البطن من إحدى السمكات الكبار .

هل قدم اليك ذلك أكثر من مرة ؟ »

— « أحسب ذلك . »

— « إذن يجب أن أعطيه شيئاً أكثر من لحم البطن . لأنه

كريم حقاً . »

— « لقد أرسل اليك زجاجتي بيرة أيضاً . »

— « أنا أحب البيرة في علب الصفيح أكثر . »

— « أدري . ولكن هذه معبأة في زجاجات . لأنها بيرة

هاتوي . وسوف أعيد الزجاجتين . »

فقال الشيخ :

— « هذا لطف منك كثير . هل ينبغي أن نأكل ؟ »

فأجابه الفتى في رقة :

— « كنتُ أسألك أن تفعل . أنا لم أشف أن أفتح السطيحة إلا

بعد أن تبدي استعدادك لذلك . »

فقال الشيخ :

– « أنا مستعد الآن . كل ما في الأمر أنني كنت أريد أن أغسل وجهي ويديّ . »
 أين يغسل ؟ كذلك فكّر الغلام . لقد كان ماء القربة العامّ على بُعد شارعين من كوخه . وكان ينبغي أن أحمل له الماء إلى هنا – كذلك فكّر الغلام – وأحمل صابونةً ومنشفة جيدة أيضاً . أنا قليل الدراية حقاً . يجب أن آتبه بقميص آخر وسترة للشاء . ليس هذا فحسب ، بل يجب أن آتبه أيضاً بحذاء من نوع ما ، وبطانية أخرى .
 وقال الشيخ :

– « إن لحملك المطبوخ هذا ممتاز . »
 فسأله الغلام :

– « حدثني عن مباريات البيسبول . »
 – « في المباراة الأميركية فاز اليانكيون كما قلت . »
 فأخبره الغلام :

– « لقد انهزموا اليوم . »
 – « هذا لا يُفيد شيئاً . لقد عاد دي ماغيو العظيم سيرته الأولى . »

– « إن في الفريقين لاعبين آخرين . »
 – « طبعاً ، ولكنه هو الذي يرجح الكفة . ففي المباراة الأخرى بين بروكلين وفيلاديلفيا ، يجب أن أقف في جانب بروكلين . ولكني أعود فأفكر في « دك سيلر » وتلك الضربات العظيمة في الملعب القديم . »

– أنا لم أرَ في حياتي لاعباً يقذف الكرة إلى أبعد مما يقذفها هو . »

– « هل تذكر تلك الأيام التي كان يفدُ فيها على السطحة ؟ » لقد رغبت في ان اصطحبه الى الصيد ، ولكن الحياء حال بيني وبين دعوته الى ذلك . ثم سألتك أن تدعوه فقلب عليك الحياء ايضاً . »

– « أدري . كانت غلطة كبيرة . فقد كان من الجائز أن يمضي معنا . ولو فعل ، إذن لفزنا بذكرى لن ننساها طول حياتنا . »

فقال الشيخ :

– « لشدّ ما أحب أن اصطحب دي ماغيو العظيم الى الصيد . يقولون ان اباه كان صياداً . ولعله كان فقيراً مثلنا ، فهو يستطيع أن يفهمنا . »

– « إن والد سيسلر العظيم لم يكن فقيراً قط . وكان ابوه هذا يشترك في المباريات الكبرى وهو في مثل سني . »

– « حين كنت في مثل سنك كنت واقفاً امام السارية في مركب شراعي يطوف سواحل افريقية ، وكنت قد رأيت الأسود على الشطآن ، بعد أن هبط الليل . »

– « أدري . لقد حدثني عن ذلك . »

– « عمّ ينبغي ان نتحدث : عن افريقية أم عن اليسبول ؟ »

فقال الفتى :

– « عن اليسبول في ما أظن . حدثني عن جون ج. ماك غراو العظيم ، (ولفظ الفتى « جوتا » بدلاً من ج .) »

– « كان من عادته أن يقدّ على السطحة ، بعض

الاحيان ايضاً ، في الايام الخالية . ولكنه كان جافياً ، فظّ
الكلام ، يجتنب الناس معاشرته حين يكون سكران . ولقد كان
ذهنه مشغولاً ابدأ بسباقات الخيل انشغاله بمباريات البيسبول .
وعلى أية حال فقد كانت جيوبه مملأى ، دائماً ، بلوائح
الخيل . وكثيراً ما كان يذكر اسماء الأفراس في أحاديثه
التلفونية .

فقال الغلام :

- « كان منظماً عظيماً . بل ان ابي يعتقد انه اعظم
المنظمين على الاطلاق . »

فقال الشيخ :

- « لأنه كان يجيء الى هنا كثيراً . ولو ان دوروتشر
واصل المجيء الى هنا كل عام لعدّه أبوك اعظم المنظمين . »
- « من هو المنظم الاعظم حقاً : لوك أم مايك
غونزاليز ؟ »

- « أحسبُ انها فرسا رهان . »

- « أما أحسن الصيادين فأنت من غير شك . »

- « لا . أنا أعرف آخرين هم أفضل مني . »

فقال الغلام :

- « هناك كثير من الصيادين البارعين وقليل من الصيادين

العظام . ولكن ليس هناك واحد مثلك . »

- « شكراً . انت تُدخل السعادة الى قلبي . ارجو أن

لا نمرّ بنا سمكة هي من الضخامة بحيث تُثبت أننا كنا
مخطئين . »

- « ليس هناك مثل هذه السمكة اذا كنت لا تزال قوياً

كما تقول . »

فقال الشيخ :

- « قد لا أكون قوياً بقدر ما أظن . ولكني أعرف كثيراً

من الحبل ، وإن عندي عزيمة صادقة . »

- « ينبغي أن تأوي إلى السرير الآن لكي تنهض نشيطاً في

الصباح . سوف أعيد هذه الأشياء كلها إلى الطيعة . »

- « طاب مساؤك إذن . سوف أوقظك في الصباح . »

فقال الغلام :

- « أنت ساعتي المنبهة . »

فقال الرجل العجوز :

- « الشيخوخة هي ساعتي المنبهة . لمساذا يستيقظ الشيوخ

باكراً إلى هذا الحد ؟ أيفعلون ذلك لكي يتمتعوا بنهار

أطول ؟ »

فأجابه الصبي :

- « لست أدري . كل ما أدريه أن الفتيان الصغار ينامون

في ساعة متأخرة ويجدون صعوبة في أن يستيقظوا صباحاً . »

فقال الشيخ :

- « أستطيع أن أتذكر ذلك . سوف أوقظك في الوقت

المناسب . »

- « أنا لا أحب أن يوقظني هو . إن ذلك يُشعرنني وكأنني

دونه مقاماً . »

- « أدري . »

- « نعم جيداً ، أيها الشيخ . »

وغادر الفتى المكان . كانا قد تناولا الطعام وليس على الطاولة

مصباح . ولقد خلع الشيخ بنطلونه ومضى إلى السرير تحت جنح الظلام . ولف بنطلونه ليتخذ منه وسادة واضعاً الجريدة في داخله . ولف نفسه في البطانية ، واستلقى على الصحف العتيقة الأخرى التي غطت نوابض السرير .

وما هي إلا فترة قصيرة حتى استسلم للرقاد وحلم بأفريقية يوم كان صبيّاً وبالشيطان الذهبية الطويلة ، وبالشيطان الناصعة البياض إلى حشد يؤذي العين ، وبالرؤوس العالية ، والجبال العظيمة السمراء . لقد انتهى إلى أن يحيا ، الآن ، كل ليلة ، في ذلك الساحل الأفريقي . وفي أحلامه سمع هدير الأمواج ، ورأى قوارب الزنوج تنطلق من خلالها . وعطرت رقادة ريباً القطران وحبال القنب القديمة التي يستروحها المرء على متون المراكب . وعند الصباح ، كانت نائم البر تحمل إليه رائحة إفريقية نفسها .

وكان من دأبه حين ينتشق نائم البر أن ينهض من فراشه ويرتدي ملابسه ويمضي فيوقظ الغلام . ولكن عبر نائم البر أقبل ، هذه الليلة ، في ساعة مبكرة جداً . « في ساعة مبكرة جداً » ، كذلك قال في غمرة حلمه . واسترسل في الرقاد لكي يرى قم الجزائر البيضاء تنهض من اعماق البحر . وبعد ذلك تبدت له في الحلم موانئ « جزر الكاناري » ومراسيها المختلفة .

ولم يعد يرى في ما يرى النائم شيئاً من العواصف أو النساء أو الأحداث الكبيرة . . بل لم يعد يرى لا السمكات الكبار ، ولا المشاحنات ، ولا مباريات القوى ، وحتى زوجته نفسها . لقد أمسى الآن يحلم بالأماكن فقط وبالأسود السارحة على

الشاطيء . لقد لعبت كالقطط الصغيرة في الغسق ، ولقد أحبها
هو كما أحب الغلام ، ولم ير الغلام في منامه قط .
ونهض الشيخ من فراشه ، ونظر الى القمر من خلال الباب
المفتوح ، ونشر بنطلونه وارتياده . ثم انه بال خارج الكوخ ،
واتخذ سبيله الصاعد لكي يوقظ الغلام . كان يرتجف من برد
الصباح ، ولكنه عرف ان هذه الارتجافة سوف تُدفعه ، فما هي
إلا برهة حتى ينكب على مجذافيه .

ولم يكن على باب البيت الذي يقطنه الغلام قفلٌ ما ، ففتحه
الشيخ ، ودخل البيت بقدميه الخافيتين في تودة وسكينة . كان
الغلام نائماً في سرير صغير قائم في الغرفة الأولى ، وكان في
مبسر الشيخ أن يتبينه في وضوح على ضوء القمر المحتضّر .
وفي رفق أمسك بأحدى القدمين الرخصتين ورفعها في الهواء ،
حتى استفاق الغلام واستدار ، ونظر اليه . وحنى الشيخ رأسه ،
فتناول الغلام بنطلونه عن الكرسي المجاور للسرير ، ثم استوى
قاعداً في الفراش وارتندى البنطلون .

وغادر الشيخ البيت : ومضى الغلام في إثره . كان الناس
لا يزال في عينيه ، فوضع الشيخ ذراعه على كتفيه وقال :
- « أنا آسف لا يقاطني إياك . »

فقال الغلام :
- « دع عنك ذلك . النهوض باكراً هو وحله اللائق
بالرجال . »

وهبطا الطريق الى كوخ الشيخ . وعلى طول الطريق ونحت
جنح انظلام ، كان رجال حفاة يتحركون ، وقد حملوا سوارى
قواربهم على أكتافهم .

حتى اذا انتهيا الى الكوخ حمل الغلام الحياوط في السلة ،
والحربون والمحجن . وحمل الشيخ سارية القارب والشرع الملتف
حولها على كتفه .

وسأله الغلام :

- هل تريد قهوة ؟

- من الأفضل أن نضع العدة في القارب ، ثم نخشي
شيئاً منها .

وتناولوا القهوة بعلبني صفيح من علب الحليب المكثف ، في
حانة تستقبل الصيادين في الصباح الباكر .

وسأله الغلام :

- هل نمت نوماً عميقاً ، ايها الجد ؟

كان يتخذ سبيله الى البقطة ، الآن ، على الرغم من انه كان
من العسير عليه أن يلود النعاس عن جفنيه .

فأجابه الشيخ :

- أجل ، نمت نوماً عميقاً ، يا مانولين . أنا واثق من

النجاح اليوم .

فقال الغلام :

- وكذلك أنا . والآن يجب ان آتي بنصيبك وبنصبي

من السردين ، وان احمل اليك أطعامك الجديدة . ان معلمي
هو الذي يحمل عدتنا ، وليس لأحد الحق في أن يمساها على

الاطلاق .

فقال الشيخ :

- لكل طريقة . لقد أجزت لك ان تحمل أي شيء

وانت بعد في الخامسة من العمر .

فقال القتي :

- « أعرف ذلك . وسوف أرجع على التو . » أخذ مقداراً آخر من القهوة . إن لنا حساباً جارياً هنا . » وانطلق حافي القدمين ، فوق الصخور المرجانية ، إلى مستودع الثلج العمومي الذي حفظت فيه الأطعمة .

واحتسى الشيخ قهوته في تودة . فقد كانت كل ما سيدخل جوفه طوال ذلك النهار ، وكان يعرف جيداً أنه في أمس الحاجة إليها . فنذ عهد طويل وتناول الطعام يزعجه ، فهو لا يصطحب أما غذاء أبداً . كانت عنده زجاجة ماء في مقدم القارب ، وكان ذلك كل ما يحتاج اليه طوال النهار .

ورجع الغلام حاملاً السردين والطعمين وقد لف هذين الأخيرين بإحدى الصحف العتيقة . وهبطا المجاز المؤدي إلى القارب ، غارزيتن أقدامهما في الرمل الحصب ، ورفعوا القارب وقذا به ، فانساب على وجه الماء .

- « أتمنى لك حظاً سعيداً ، أبا الجدد . »

- « وأنا أتمنى لك حظاً سعيداً . » كذلك أجابه الشيخ . وشدّ أربطة المجذافين القنّية إلى الورتدين ، وانحنى إلى امام متكئاً على طرفي المجذافين المسطحين المندفعين في الماء ، وشق طريقه إلى خارج المرفأ في غمرة من الظلام . وكانت قد انطلقت في عرض اليمّ قوارب أخرى مقبلة من السواحل المجاورة . ولقد سمع الشيخ أصوات مجاذيفها وهي تلطم المياه وتدفعها على الرغم من انه ما كان قادراً على ان يتيقنها ببصره بعد أن غاب القمر وراء الروابي .

وكان بعضهم يتحدث ، أحياناً ، في قارب ما . ولكن معظم

القوارب كانت صامته لا ينبثق منها غير أصوات المجاذيف .
وتناثرت تلك القوارب بعد أن غدت بعيدة عن فم المرفأ ، واتجه
كل منها الى جزء من المحيط . كان يرجو أن يقع فيه على صيد
سمين . وعرف الشيخ انه قد اوغل كثيراً . لقد خلف وراءه
عبر الأرض ، وأنشأ بجذاف ويجذاف . وكانت كل ضربة
جذاف تقربه من رياً المحيط الصباحية الصافية . لقد رأى
الى أعشاب الخليج توهج في الماء توهجاً فوسفورياً ، بينما
كان يجذاف في ذلك الجزء من الاوقيانوس الذي دعاه الصيادون
« البشر الكبيرة » بسبب من عمقه المفاجيء البالغ سبعة قامة .
حيث نحتشد الأسماك على اختلاف ضروبها نتيجة للدراديره .
التي يحدثها التيار حين يصطدم بجدران قاع المحيط الشديدة
الانحدار . هنا كان يتركز الروبيان والسردين ، بل وتنشأ في
بعض الأحيان مستعمرات من السبيدج في أعماق الثقوب . وكانت
هذه ترتفع الى قريب من السطح عند المساء فتغلي بها جميع
الأسماك النائمة .

وفي غمرة من الظلام كان في ميسور الشيخ أن يستشعر أن
الصباح يُغدّ الخطى . وفيما هو يجذاف انتهت الى سمعه ذبذبات
الأسماك الطائرة وهي تنبثق من الماء ، وصغير اجنحتها القاسية وهي
تحلّق في الظلام . وكان مولماً جداً بالأسماك الطائرة لأنها
كانت صديقه الرئيسية في عرض الاوقيانوس . كانت العاصف
تثير شفقتة ، وبخاصة سنونو البحر الصغيرة المهزولة الداكنة التي
ما تفتأ تطير وتبحث ولا تكاد تجد شيئاً على الاطلاق . وقال في

- القامة مقياس يساري ستة اقدام او متراً و ٨٢ سم .
- الدرودور : موضع في البحر يجيش مائه فيخاف فيه الفرق .

(المرب)

ذات نفسه : الطيور تحيا حياة أقسى من حياتنا نحن ، باستثناء الجوارح والطيور السُراق . لماذا جُعِلت العصافير نحيلة رقيقة الحاشية مثل سنونو البحر هذه ، ما دام الاوقيانوس وحشياً الى هذا الحد ؟ ان الاوقيانوس لطيف وجميل جداً ، ولكن في استطاعته أن يصبح وحشياً ، وحشياً الى أبعد الحدود ، وفي مثل لمح البصر . ولا ريب في ان هذه العصافير الصغيرة التي نطير ، وتغوص ، وتقتنص - بأصواتها الهزيلة المحزونة - هي ارقّ من أن تحتل حياة البحار .

وكان يدعو المحيط « البحرة » La mar وهو الاسم الذي يطلقه الناس باللغة الاسبانية على المحيط حين يتعشقونه . وفي بعض الأحيان كان اولئك الذين يتعشقون المحيط ينعونه أو يستنونه ولكنهم كان يفعلون ذلك دائماً وكأنهم يتحدثون عن امرأة . وكان بعض الصيادين الأحداث سناً - اولئك الذين يصطنعون عوامات تطفو بها صناديرهم والذين يملكون زوارق بخارية اشتروها في الفترة التي بيعت خلالها اكباد الأقراش بأثمان غالية جداً - يدعون المحيط « البحر » El mar وهو اسم مذكر . كانوا يتحدثون عنه بوصفه خصماً ، أو مكاناً ، بل بوصفه علواً ايضاً . ولكن الشيخ كان لا يفكر فيه إلا ككائن مؤنث ، وإلا كشيء يهب المنن الجزيلة أو يجبها . وإذا كانت « البحرة » تسلك مسلكاً أحق أو خيشاً فلأنها لا تستطيع أن تفعل غير ذلك . إن القمر يذهب بصوابها كما تذهب المرأة بصواب الرجل - كذلك قال الشيخ في ذات نفسه .

كان يجذف تجديفاً موصولاً . ولم يكن ذلك عسيراً

عليه لأنه كان يحفظ سرعته دائماً ، ولأن سطح المحيط كان أملس صقيلاً باستثناء بعض الأخاديد التي كان التيار يُحدثها بين الفينة والفينة . وكان قد عهد الى التيار في أن يقوم بثلاث المهمة ، حتى اذا بزغ الفجر أدرك أنه قد اندفع الى أبعد مما كان يرجو أن يبلغه في هذه الساعة .

لقد جربتُ الآبار العميقة اسبوعاً كاملاً ، فلم أفر بشيء . كذلك قال في ذات نفسه . أما اليوم فسألني شباكي في مستعمرات البينيث والخنيزيري ، ولعلي أقع على واحدة ضخمة بينها .

وقبل أن يكتمل ضوء النهار أخرج الشيخ أطعامة ، وكاد يندفع مع التيار ، وغاص واحد من تلك الأطعامة الى عمق مقداره أربعون قامة . وغاص الطعم الثاني الى عمق خمس وسبعين قامة ، على حين غاص الثالث والرابع في المياه الزرقاء الى عمق مئة قامة ومئة وخمس وعشرين قامة على التعاقب . وكان كل طعم يتدلى مطأطء الرأس وساقُ الصنارة في داخل السمكة الطعم ، وقد شُدت وخيطة في إحكام ، على حين كان الجزء البارز من الصنارة ، القوس والرأس ، مغطى بالسردين الطازج . وكانت كل من سمكات السردين قد سُلكت من خلال عينيها الاثنتين بحيث شكل مجموعها ضرباً من الاكسيل فوق الفولاذ النائي . وبكلمة ، لم يكن ثمة مليونر واحد من تلك الصنارة المعدة لصيد إحدى السمكات الكبار إلا وهو حسن الرائحة طيب المذاق .

وكان الغلام قد أعطاه اثنتين من سمك النن الصغير الطازج ، أو الخنيزيري . وكان الشيخ قد علقها بخيطي الصنارة الأشد

إمعاناً في الغوص ، فوترتاها وكأنيها الرصاص . أما الخيوطان
 الآخران فكان قد علق بهما سمكة ضخمة زرقاء من النوع
 المعروف بالعداء ، وأخرى صفراء من النوع المعروف بسمك
 الكراكي . وكان قد استعملها من قبل ، ولكنها كانتا
 ما تزالان في حال حسنة جداً . وأياً ما كان ، فالسردين الممتاز
 كان جديراً بأن يهبها عبراً وجاذية . وكان كل من الخيوط
 في مثل ثخانة قلم رصاصي كبير ، وكان معقوداً حول عود
 أخضر لين ، فما إن يُجذب الطعم أو يمسّ حتى يغوص العود
 في الماء . وكان الشيخ يحتفظ بلفيفتين من الخيوط طول كل
 منها أربعون قامة ، ففي ميسوره أن يستعين بهما إذا ما احتاج
 إلى مزيد من الخيوط وتطلبت سمكة ما خيطاً يزيد طوله على
 ثلاثمئة قامة .

وفي تلك اللحظة راقب الرجل وضحّ العبدان الثلاثة من
 فوق جانب القارب ، وجذّف في تودة لكي يُبقي خيوط
 الصنارة عمودية مشدودة إلى اعماقها السوية . كان الظلام
 قد توارى ، وكانت الشمس على وشك أن تشرق بين لحظة
 ولحظة .

ثم إن الشمس انبثقت من البحر رقيقة مهزولة ، وغدا في
 ميسور الشيخ أن يرى القوارب الأخرى ، خفيفة مع مستوى
 الماء غير نائية عن الشاطئ ، وقد انتشرت عبر التيار . ثم
 ازدادت الشمس اشراقاً ، وانعكس وهجها على صفحة الماء .
 حتى إذا تقلعت في معارج السماء عكس البحر المستوي أشعتها
 اللاهبة إلى صفي الشيخ فكادت تحرقها . وجذّف من غير أن
 ينظر إليها ، وخفض بصره نحو الماء ، وراقب الخيوط الغائصة

على نحو مباشر في ظلمات اليمّ . لقد أمسك بها في وضع مستقيم ليس يقدر على مثله أي رجل آخر بحيث كان ثمة عند كل مستوى من مستويات المحيط طعمٌ ينتظر ، حيناً أراد له أن ينتظر تماماً ، أما سمكة يتفق أن تسبح هناك . أما الصيادون الآخرون فكانوا يدعون التيار يتقاذف خيوطهم ، وكثير ما تكون تلك الخيوط على عمق سبّين قامة في حين يظنها الصيادون على عمق مئة .

أما أنا فأمسك بالخيط في ضبط . كذلك قال الشيخ في ذات نفسه . كل ما في الأمر أنني لم أعد محظوظاً على الإطلاق . ولكن من يدري ؟ لعلّ اليوم أن أوفّق الى شيء . ان كل يوم من الأيام يفتح للانسان صفحة جديدة . وان من الأفضل أن يكون المرء محظوظاً ، ولكني أؤثر أن أكون دقيقاً . حتى اذا أقبل الحظ بعد ذلك وجدني على أتم الاستعداد .

وازدادت الشمس ارتفاعاً بعد ساعتين من الزمان ، ولم يُنزل النظرُ الى الشرق أذى كبيراً بعينه . كانت ثمة في مدى البصر ثلاثة قوارب ليس غير ، وكانت تنهل خفيضة جداً ، قريبة جداً من الشاطئ .

وقال في ذات نفسه : منذ صباي الأول والشمس المبكرة تؤذي عينيّ . ومع ذلك فيها ما تزالان صالحتين . وعند المساء ، أستطيع أن أنظر في وجهها - هي الشمس - من غير أن تصاب عيناى بالسفعة . أما في الصباح فالنظر الى الشمس يورثني ألماً شديداً .

وفي تلك اللحظة بالذات بصُرّ بنسر بحري ذي جناحين طويلين

سوداوين يحوم أمامه في السماء . وما هي إلا لحظة حتى أسف
النسر على نحو خاطف ، مائلاً على جناحيه المنحرفين إلى الورا ،
ثم عاود التحويم من جديد .

وقال الشيخ في صوت عال :

« لقد أنهى مباحثه . لقد اكتشف شيئاً . »

وجذف في بطاء وفي اطراد إلى حيث كان الطائر يحوم .
ولم يصطنع الشيخ السرعة ، وكان حريصاً أبداً على أن يبقى
خطوط صنارته مستقيمة متوترة . ولكنه سبق التيار بعض الشيء
بحيث ظل يصطاد في دقة وضبط ، وإن يكن اصطياده ذاك
أسرع مما كان جديراً به أن يكون لو لم يحاول أن يلحق
بالطائر .

وحلق الطائر في الفضاء ، ثم انشأ يحوم وجناحه جامدان لا
حراك بهما . وفجأة انقض من حلق . وبصر الشيخ بسمكات
طائرة تنبثق من الماء وتقلع في بأس فوق سطح البحر .
وقال الرجل المعجوز في صوت عال :

« دلافين ! دلافين ضخمة ! »

وسحب المجذافين من محوريهما ، وأخرج صنارة صغيرة من
تحت مقدم القارب . كانت لها قاعدة معدنية وشص متوسط
الحجم . وعلق بالشص طعماً من السردين . وألقاه من جانب ،
ثم شد الخيط إلى حلقة في مؤخر القارب . ثم طعم صنارة
أخرى وتركها تنثني في ظل القيدوم . وعاود التجذيف ومراقبة
الطائر الاسود الطويل الجناحين . وكان قد أسف ، الآن ، حتى
لكاد يلامس سطح الماء .

• قيدوم المركب : مقصده .

وفجأة انحرف الطائر متقصاً من جديد على السمكات الطائرة ، ثم رفرِفَ بجناحيه في جنون ، ولكن على غير طائل . وكان في ميسور الشيخ ان يرى الانتفاخ الطفيف الذي أحدثته الدلافين الكبيرة ، على وجه الماء ، فيها هي تطارد الاسماك القارّة . وكانت الدلافين تشقّ طريقها تحت الماء ، في سرعة بالغة ، متعقبة تلك الاسماك ، رجاء ان تكون لها بالمرصاد حين تعاود الهبوط . وقال الشيخ في ذات نفسه : إنها جمهرة ضخمة من الدلافين . وإنها لمنتشرة في كل مكان . وليس للأسماك الطائرة كبير حظّ في النجاة . والطائر نفسه لن ينال من ذلك كله شيئاً . فالاسماك الطائرة أضخم من أن يقدر عليها ، وهي تنطلق في سرعة خاطفة . وراقب الاسماك الطائرة وهي تنبجس من الماء الكرة تلو الكرة ، وجهود الطائر الضائعة من أجل الفوز باحداها . وقال في ذات نفسه : لقد أفلتت هذه الجمهرة مني . إنها بعيدة جداً ، وسريعة جداً . ولكن من يدري ، فلعلّي أن أفوز بواحدة منها تائهة ، ولعلّ سمكتي الكبيرة أن تكون غير بعيدة عنها . إن سمكتي الكبيرة يجب أن تكون في مكان ما .

وفوق البرّ نهدت السحاب وكأنها الجبال . ولم يبق من الشاطئ غير خطّ طويل أنحضر تنهض خلفه الكثبان الزرقاء الرمادية . كانت المياه الزرقاء داكنة ، الآن - داكنة إلى حدّ يكاد يجعلها بنفسجية . وحين خفض الشيخ بصره نحوها رأى طُفْفاوة البحر . الحمراء في المياه الداكنة ، والضوء العجيب الذي ارسلته .

• أو البَلَنَكْتون plankton ويقصد بها الكائنات الحية النباتية أو الحيوانية الطافية في البحر .

(المرب)

الشمس آتئذ . وراقب خيوطه فألفاها تنحدر في اللجة على نحو مستقيم حتى تغيب في الاعماق . وغمرته السعادة لرؤية طفاوة البحر تلك لأنها كانت تعني وجود السمك في وفرة . وكانت الشمس مرتفعة جداً ، وكانت الاضواء العجيبة التي أحدثها انعكاسها على صفحة الماء تؤذن بأن الجو سوف يكون جيداً ، وكذلك أفادت أشكال السحاب المخيمة على البر . ولكن الطير كان قد احتجب عن البصر ، أو كاد ، وما عاد يبدو فوق سطح الماء شيء باستثناء باقات من عشب سارغاس الاصفر الناصل اللون ، ومثانة ارجوانية ، هلامية ، قزحية لرنة بحر . كانت تطفو بجذء القارب . لقد انقلبت على جنبها ، ثم قومت وضعها . وطففت مبتهجة مثل فقاعة الصابون ، وأذناها الأرجوانية القاتلة البالغ طولها نحواً من متر تنسحب وراءها في الماء .

وقال الشيخ :

— « آغوا مالا agua mala . إذهبي أيتها العاهرة ! »

ومن غير أن يترك مجذافيه انحنى قليلاً إلى أمام وحدق في الماء ، فرأى السمكات الدقاق المصبغة بلون الازناب المنسجة ، والساجة بين تلك الازناب في الظل الصغير الذي بسطته الفقاعة الطافية . كانت لها مناعة تقيها سُم رئات البحر ، ولكن البشر لا يتمتعون بمثل تلك المناعة . فإ ان تعلق بعض أذناها بخط الصنارة وتمس بلزاجتها ولونها الأرجواني يد الشيخ أو ذراعه ، فيها هو يربص باحدى السمكات الدوائر ، حتى تتفقع تلك اليد أو الذراع وتعلوها قروح كالتي يثيرها اللبلاب السام ، أو

(المرب)

• رئة البحر أو المدوسة حيوان بحري عادم الفقرات .

السندبان السام . ولكن الأذى الذي تلحقه الـ « آغوا مالا »
خاطف مؤلم كضربة سوط .

وكانت الفقاقيع الفرجية اللون فاتنة . ولكنها كانت أشد
الكائنات البحرية مخادعة وغدراً ، وكان الشيخ يحب أن يرى
سلاحف البحر الضخمة تلتهمها . وكانت السلاحف إذا ما
بصّرت بها انقضت عليها من أمام ، مغمضة عيونها لكي
تتم بالوقاية التامة ، ثم تلتهمها جسداً وأذناً . لقد أحب
الشيخ مشهد السلاحف وهي تفتك برئات البحر هذه ،
وأحب أن يمشي فوقها ، على رمل الشاطئ ، بعد هدوء
العاصفة ، وإن يسمع فرقعتها حين يدوسها بأخصي قدميه القاسين
كالقرون .

لقد أحب السلاحف الخضراء ، والسلاحف الصقرية المناقير ،
بأناقتها وسرعتها وثمنها الغالي ! على حين كان يستشعر ازدراءً
ودباً لذلك الضرب من السلاحف الضخمة الحماء « العديمة
الرشاقة » الصفراء الدروع ، السالكة في حبها مسالك غريبة ،
المنتهمة رئات البحر مبتهجة مغمضة العيون .

ولم يكن متحجر الفؤاد مع السلاحف برغم انه انصرف إلى
صيدا سنوات وسنوات . كان بأسى لها جميعاً ، حتى تلك
السلاحف الكبيرة « ذوات الظهور الشبيهة بالصناديق » والتي يبلغ
طولها طول القارب ، وترن طناً . إن معظم الناس لا يحملون في
أفتدسهم ذرة من الشفقة على السلاحف لأن قلب السلحفاة يواصل
الحفان بعد انقضاء بضع ساعات على نحرها . ولكن الرجل
العجوز قال في ذات نفسه : إن لي أنا أيضاً مثل هذا الفؤاد
ويدي وذراعي مثل أيدي السلاحف وأذرعها . وإلى هذا فهو

ياكل بيضها الابيض لكي يُفرغ في جسده القوة . لقد فعل ذلك طوال شهر نوار ، حتى إذا أقبل شهرا ايلول وتشرين الاول كان في ميسوره أن يواجه السمكة الضخمة حقاً بعزم حديد .

ليس هذا فحسب . بل لقد كان من دأبه أن يشرب كل يوم مقداراً من زيت كبد القرش ، بالاناء المعدني الكبير المفضل في تلك السفينة التي يضع فيها كثير من الصيادين عُدّهم . فهناك كان ذلك الزيت مبدولاً لطالبه من الصيادين . وكان معظمهم يكره مذاقه . ولكنه لم يكن أسوأ من النهوض في مثل الساعة المبكرة التي ينهضون فيها صباحاً . وإلى هذا فقد كان علاجاً ممتازاً للزكام والنزلة الوافدة ، وكان ذا فائدة كبيرة للعين .

وهنا رفع الشيخ بصره نحو السماء فرأى الطائر يحوم من جديد .

وقال في صوت عال :

— « لقد وجد سمكة » .

ولم تنبثق من سطح الماء أيما سمكة طائرة ، ولم تنتشر السميكات ههنا وهناك . ولكن فيما كان الشيخ يراقب ، بصراً بسمكة تُنْ صغيرة تثب في الهواء ثم تستدير وتنفض غائصة في الماء . وأومض التّنّ لحينياً في وجه الشمس ، وبعد ان انقلب غائصة في اليمّ برز من الماء ثان وثالث وراحت جميعها تتوالب في كل ناحية ، ماخضة الماء ، قافزة قفزات طويلة خلف الأطعمة . كانت تطوقها وتستاقها ذات اليمين وذات الشمال . وقال الشيخ في ذات نفسه : إذا لم تنطلق في سرعة بالغة

فسوف أقبض عليها . ثم راقب جمهرة الاسماك تلك وهي تثير
الزبد على وجه الماء ، والطائر يسفّ فجاءةً ويفوص التماساً
للسّميكات التي عصفت بها الذعر فأكرهت على أن تغرز إلى
السطح .

وقال الرجل المعجوز :

— هذا الطائر يُسعف كثيراً .

وفي تلك اللحظة عينها ، توتر خيط الصنارة التي في مؤخر
القارب ، تحت قدمه المطوّقة بعروة الخيط . فاطّرح مجدافيه :
واستشعر ثِقَلَ جاذبةِ التّن الصغير المرتعشة ، فيها هو يمسك
بالخيط في إحكام ، ويجذبه نحوه . وتعاظم ارتعاش التّن ، وصار
في ميسور الشيخ أن يرى في الماء ظهر السمكة الازرق المسودّ
وجنبها الذهبين قبل أن يرفعها من فوق حافة القارب ويقذف
بها إلى داخله . واستلقى التّن في مؤخر المركب ، تحت أشعة
الشمس اللاهبة ، مكترأً قبليّ الشكل . وفتح عينيه الضخمتين
الغيبتين ، وراح يخطّ قعر المركب بذبله النظيف الرشيق الحركة
خبطاً خاطفاً مرتعشاً . لقد اختنق . وبدافع من الشفقة ضربه
الشيخ على رأسه ، ورفسه بقدمه — وكان جسده ما يزال يرتعد —
إلى مؤخرة القارب الظليلة .

وصاح الشيخ :

— سمكة خنّيزيرية . إنها جديرة بأن تصبح طعاماً جميلاً ،

وان وزنها لا يقل عن عشرة أرتال .

ولم يذكر متى شرع يخاطب نفسه ، أول مرة ، بصوت
عال ؟ كان في الأيام الحالية يغني وهو منفرد ، ولقد غنى في
موهن من الليل ، بعض الاحيان ، حين كان وحده يدير السكّان

في مراكب صيد السمك أو قوارب صيد السلاحف . ولعله إنما شرع بتكلم بصوت عال ، وهو متوحد ، عندما فارقه الغلام . ولكنه لا يذكر ذلك . ففي تلك الايام التي تعاون فيها هو والغلام على الصيد كان من عادتهما ان لا يتكلما إلا إذا دعت الضرورة إلى الكلام . كانا يتحدثان في الليل ، أو حين تعوقهما الرياح عن العمل . ففي البحر ليس من المستحسن أن يتكلم المرء من غير ما داع ، ولقد كان الشيخ يؤمن دائماً بهذه السنة ويحترمها . أما الآن ، فقد افرغ أفكاره غير مرة في قالب مسوع إذ لم يكن ثمة أحد قد يزعجه ذلك .

وقال في صوت عال :

— « لو سمعني الناس أنكلم بصوت مرتفع اذن لظنوا انني معنوه . ولكن ما دمت غير معنوه فلست أبالي بظنونهم . وعلى أية حال فيجب أن لا أنسى ان عند الاغنياء راديوات تتحدث اليهم في مراكبهم ، وتأتيهم بأنباء مباريات البيسبول . »

وقال في ذات نفسه : ليس هذا أوان التفكير بالبيسبول . انه اوان التفكير في شيء واحد ليس غير : الشيء الذي خلقت من أجله . وقد يكون حول تلك الجماهرة إحدى السمكات الكبيرة — كذلك فكر الشيخ . أنا لم أصد إلا سمكة خضالة من ذلك السمك الخنيزيري المنطلق بحثاً عن الرزق . ولكن انطلاقه كان سريعاً ممعناً في البعد . ومن عجب ان كل ما يبرز على سطح الماء اليوم ، يعدو بسرعة البرق ويتجه نحو الشمال الشرقي . هل للساعة علاقة بذلك ، أم أنها علامة من علامات الاحوال الجوية لا أعرفها ؟

ولم يعد في ميسوره أن يرى خط الساحل الاخضر . كل

ما كان قادراً على رؤيته 'قن' الكبان الزرق التي بدت بيضاء
وكان الثلج كان يكللها ، والسحب التي تراءت فوقها أشبه بجبال
ثلجية عالية . كان البحر داكناً جداً ، وكان النور بشكل على
وجه الماء مواشير من الضياء . وذابت رُقَع الطفاوة البالغة آلافاً
مؤلفة تحت وهج الشمس التي انتهت إلى كبد السماء . وإذا
بالشيخ لا يرى غير المواشير الكبيرة العميقة في المياه الزرقاء وغير
خيوطه الغارقة مستقيمة متوترة في الاعماق . وقدّر ان عمق
المحيط هناك يبلغ ميلاً واحداً .

وعاودت سمكات التّن الهبوط إلى ما تحت الماء . وكان
الصيادون يخلعون اسم التّن على جميع تلك الضروب من السمك ،
ولا يميزون كل طائفة منها بالعلّم الذي تُعرف به إلا حين
يمضون لبيعها أو لاستبدالها بالأطعام . وكانت أشعة الشمس قد
غدت لاهبة ، ولقد استشعرها الشيخ على مؤخر عنقه ، واحس
بالعرق يتحدر على ظهره وهو يجذف .

وقال في ذات نفسه : في ميسوري ان ادع القارب يجري مع
التيار ، وأنام بعد أن ألف طرف الحبل حول إبهام قلبي لكي
أفنى في الوقت المناسب . ولكن هذا هو يومي الخامس والثمانون ،
وينبغي ان أعمل في يقظة واحتراس .

وفي تلك اللحظة ذاتها ، وكان يراقب خيوطه ، رأى أحد
العيدان الحضر النائمة التي تقوم مقام العوامات يغطس فجأة
في الماء .

وقال :

— أجل ، أجل ، ها انا ذا !

وسحب المجذافين من غير ان يدعها يمسان القارب . وانحنى

إلى امام ملتصقاً بالحيط فأمسكه في رفق بين الإبهام والسبابة من يده اليمنى . فلم يستشعر فيه توتراً ولم يجد له ثقلاً . وأطبق يده على الحيط في غير إحكام . وما هي إلا برهة حتى أحس بجذبٍ مُرَدَّد ليس بالصلب ولا بالثقل ، فعرف أي شيء كان وراء ذلك على وجه الضبط . فعلى عمق مئة قامة كان سيفٌ . يأكل السردين الذي يغطي رأس الصنارة وساقها حيث اخترق الشخص المطرق باليد رأس النّ الصّغير .

وأمسك الشيخ بالحيط في رقعة . ويده اليسرى ، وفي رفق ، حل العقدة التي تشده إلى العود . وهكذا صار في مسوره أن يجعله ينساب بين أصابعه من غير أن تشعر السمكة بأي توتر .

وفكر الشيخ : ما دمتُ في مثل هذا الشهر ، وعلى هذا البعد عن الساحل فليس من ريب في أنها سمكة ضخمة جداً . ثم انشأ يخاطب السمكة قائلاً :

— « كلي هذه الاطعام ، أيتها السمكة ، كليها ! أرجوك أن تأكليها ! لقد حفظتها طازجة من أجلك أنت ، على عمق ستمئة قدم في ذلك الماء البارد ونحت جنح الظلام . هيا ، قومي بجولة أخرى في العتمة ، ثم ارجعي وكليها ! »

واستشعر الجذب الرفيق ، ثم أحس بجذبة أعنف : لقد كان انتزاع رأس سردينته ما من الشخص أكثر صعوبة على ما يظهر ولكن هذا كله لم بتكشف عن شيء .

وصاح الرجل العجوز :

— « تعالي ! قومي بجولة أخرى ! ليس عليك إلا أن

• سمكة ضخمة قوية ذات خطم يشبه الرمح .

تسروحيها ! أليست شهية ؟ كلي من السردين ما تشائين الآن ،
وحين تنتهين فهناك سمك التن . إنه مكتنز اللحم ، بارد ،
لذيذ . لا تكوني خجلة أيتها السمكة ! كليها !

وانتظر ، والخيط بين إبهامه وسبابه ، مراقباً هذا الخيط وسائر
الخيوط في آن معاً لأن السمكة قد تسبح عالياً أو نازلاً . ثم
أحس بالجلذبة الرفيقة نفسها ، كرة أخرى .
وصاح الرجل المعجوز :

— « لقد أقبلت عليها . يا الهي ساعدها على التهامها ! »
ومع ذلك ، فلم تلتهمها . لقد ولت السمكة . ولم يستشعر
شيئاً ما بعد ذلك .
وقال :

— « من المستحيل أن تذهب . المسيح يعلم ان من المستحيل
أن تذهب . إنها تقوم بجولة . لعلها ازدردت شعاً من قبل فهي
لا تزال تذكر شيئاً من الالم الذي أورثها إياه . »
ثم انه أحس بالخيط يُجذب ، كرة أخرى ، جذباً رقيقاً .
وأشرق وجهه بالبشر .
وقال :

— « لقد قامت بجولة ليس غير . ولسوف تلتهمها الآن . »
وغمرته السعادة وهو يستشعر انجذاب الخيط الرفيق . ثم أحس
بشيء قاس وثقيل إلى حد لا يصدق . ولم يكن ذلك غير
السمكة . فأرخی الخيط ، وأرخی ، وأرخی ، مستنجداً باحدى
اللقيفتين الاحتياطيتين . وفيما الخيط يعمق في الغوص ، منساباً في
رشاقة من بين أصابع الرجل المعجوز ، كان لا يزال في استطاعته
أن يُحس بالثقل العظيم على الرغم من ان ضغط إبهامه وسبابه

كاد يكون غير ملحوظ .

وقال :

« أي سمكة هذه ! لقد اعترضت الصنارة فيها الآن .

وانها لتفرّ بها . »

وفكّر : وبعد ذلك سوف تستدير . سوف تبتلعها . ولم يقل ذلك ، لأنه كان يعلم ان المرء إذا عبر عن فرحه باقتراب النصر فقد لا يرى وجه النصر أبداً . لقد أدرك أي ضخامة كانت لتلك السمكة . وتمثلها ساحة في الظلمات والنّ معترض في حلقتها . وفي تلك اللحظة أحس بالسمكة تكف عن الحركة ، ولكن الثقل ما يزال هناك . ثم تعاظم الثقل ، فأملى جزءاً إضافياً من الخيط وأحكم ضغط سبابته وإبهامه لحظة . فازداد الثقل تعاظماً ، وانشأ بغور على نحو عمودي مستقيم .

وقال الشيخ :

« لقد فازت بها . ويجب عليّ الآن أن أدعها لتلتهمها ،

وتلتهمها جيداً . »

وترك الخيط ينساب من خلال أصابعه ، فيما انحنى إلى أمام باسطاً يده اليسرى ، وأوثق طرفي الخيطين الاحتياطين بالعروة المعدة لهذا الغرض في طرف خيط ثالث . وهكذا أمسى على أحسن استعداد . صار عنده ثلاث لفائف من الخيوط الاحتياطية طول كل منها اربعون قامة ، إلى جانب الليفة التي كان يستعملها . وقال مخاطباً السمكة :

« هيا ، كلي قطعة صغيرة أخرى . كليها جيداً ! »

وفي ذات نفسه قال : كليها حتى تغيب الصنارة في قلبك وتقتلك . تعالي في سهولة ويسر ودعيني أطعنك بالحربون .

حسن جداً . هل أنت مستعدة ؟ هل جلست إلى المائدة منذ وقت طويل ؟

– « والآآن ! » قال ذلك بصوت عال ، جاذباً بكلتا يديه جذباً شديداً . وكسب مقداراً من الخيط طوله ياردة واحدة ، ثم جذب وجذب ، متابعاً ذات اليمين وذات الشمال ، بأقصى ما يستطيع من قوة ، دائراً حول نفسه ، مستعيناً بثقل جسده كله .

ولم يشر ذلك الجهد شيئاً . لقد ابتعدت السمكة في تودة ، وعجز الشيخ عن ان يرفعها لإنشأ واحداً . كان حبله متيناً معداً للسمكات الثقال . ولقد شده إلى ظهره حتى توتر وأخذت حبات الماء تتوالب من حوله . ثم ان الحبل شرع يطلق فجيحاً بطيئاً في الماء . ولم يفلكه الشيخ ، مستنداً إلى مقعد التجذيف ، منحنيّاً إلى الوراء لكي يكون أقدر على مقاومة القوة الجاذبة . وبدأ القارب ينحرف شيئاً فشيئاً نحو الشمال الغربي .

وانطلقت السمكة على نحو موصول ، وانطلق هو معها ، في ببطء ، فوق المياه الهادئة . كانت الاطعام الاخرى ما تزال في أعماق المياه ، ولكن لم يكن ثمة ما يمكن عمله . وقال الشيخ في صوت مرتفع :

– « ليت الغلام كان معي . إن سمكة تجرّني ، وأنا منها بمثابة وتد الحجر . ولقد كان في استطاعتي أن أشدّ الخيط شداً أقوى ، ولكنني أخاف ان تقطعه السمكة ، ان فعلتُ . يجب أن أتثبت بها ما استطعت ، وأن أُملي لها حين تكون في حاجة إلى ذلك . واني أشكر الله على ان السمكة تمضي إلى أمام بدلاً

من أن نهبط إلى أدنى .

ما الذي سأعمله إذا ما وطنت النفس على الهبوط إلى أدنى ؟
لست أدري . ما الذي سأعمله إذا ما غاصت وقضت نجبها ؟
لست أدري . كل ما أدريه هو اني سوف أصنع شيئاً . ان
هناك أشياء كثيرة في ميسوري أن اصنعها .

وتشبث بالخيوط فوق ظهره وراقب انحرافه في الماء ، بينما
كان القارب يتجه نحو الشمال الغربي في اطراد .

وقال بينه وبين نفسه : إن ذلك سوف يقتلها . إنها لا تستطيع
أن تفعل ذلك إلى آخر الدهر . ولكن أربع ساعات تقضت
ولا يزال ذلك السيف المائل يشق عباب الماء نحو عرض البحر
من غير انقطاع جاراً القارب وراءه ، فيما الرجل المعجوز يشد
بالخيوط ، متقوس الظهر ، في قوة وعزم .

وقال :

— « لقد أطعمتها الشص عند الظهر . ثم لم أر لها وجهاً
حتى الآن . »

وكان قد ضغط قبعته المصنوعة من القش فوق رأسه ضغطاً
شديداً ، قبل أن يوفق إلى إقحام الشص في فم السمكة ، فإذا
هي تحز جبينه حزاً موجعاً . واستبد به الظلم أيضاً . فرجع
محاذراً أن يقطع الخيط ، وانزلق نحو مقدم الزورق ما استطاع
إلى ذلك سيلاً ، وبسط إحدى ذراعيه التماساً لزجاجة الماء .
وفتح الزجاجاة وشرب بضعة جرعات . ثم استند إلى القيدوم ،
ليقع بعد على السارية المرفوعة من مكانها ، والتي كان الشراع
قد لُف حولها ، وحاول ان لا يفكر . — أن يتجسد ويصبر
ليس غير .

ثم التفت إلى وراء ، فإذا هو غير قادر ، بعد ، على أن يرى شيئاً من البابسة . وقال في ذات نفسه : لن يقدم ذلك ولن يؤخر . في استطاعني ان ارجع على أضواء هافانا . ولن تغرب الشمس قبل ساعتين اثنتين ، ولعل السمكة ان ترتفع خلال هذه الفترة . وإذا لم ترتفع فقد تفعل ذلك مع القمر . وإذا لم يتم ذلك فلعله ان يتم مع بزوغ الشمس . أنا لا استشر أي مفسر ، واني لأحس بفيض من القوة . إنها هي التي ابتلعت الشمس ، لا أنا . ولكن ينبغي ان تكون هائلة جداً ، هذه السمكة ، حتى تشدني على هذا النحو . لا شك في أنها تعض على المعدن بأسنانها . لشد ما أتمنى لو أستطيع أن أراها ، لحظة واحدة ليس غير ، لكي أعرف أي خصم أقارع .

ولم يغير السيف لا مسلكه ولا اتجاهه طوال ذلك الليل — أو هذا على الأقل ما استطاع الشيخ أن ينتهي اليه من مراقبته مواقع النجوم . وأمسى الجو بارداً بعد أن غربت الشمس ، وجف عرق الرجل العجوز على ظهره وذراعيه وقدميه الهرمتين . وكان قد رفع ، خلال النهار ، ذلك الكيس الذي يغطي صندوق الاطعام ونشره تحت أشعة الشمس كي يجف . حتى إذا غابت الشمس طوق به عنقه فتدل جزء منه فوق ظهره . وفي احتراس أمر ذلك الجزء من تحت الحبل الذي كان يعترض ، الآن ، منكميه . وكان في ذلك ما زوده بضرب من الوسادة خفف من وطأة الحبل على جسده . ليس هذا فحسب ، بل لقد وفق إلى ان يستند بصدوره إلى مقدم القارب فيجد في ذلك بعض الراحة . والحق ان وضعه ذاك انتهى إلى أن يكون أقل

إيلاًماً ليس غير . ولكنه اعتدّه ، بالقياس إلى وضعه السابق ،
مريحاً أو بكاد .

وقال في ذات نفسه : لا حيلة لي فيها ، ولا حيلة لها فيّ .
ما دامت تواصل خطتها هذه ، على الأقل .

ووقف لحظة وبالّ من فوق جانب الزورق ، وتطلع إلى
النجوم كي يتحقق من الواجهة التي يتخذها . ومن أعلى كتفيه
حتى صفحة الماء بدا الخيط أشبه ما يكون بخيط ذي توهج
فوسفوري . كان سيرهما قد أمسى أبطأ من ذي قبل ، ولم
يكن الوهج المنبعث من هافانا قوياً شأنه في ما مضى ، فاستنتج
الشيخ من ذلك ان التيار يحملها في اتجاه الشرق . وقال في ذات
نفسه : إذا فقدتُ أنوار هافانا فعني ذلك اننا نمنع في الاتجاه
نحو الشرق . لأنه لو واصلت السمكة سيرها على نحو مستقيم
اذن لقدّر لي أن أرى الاضواء بضع ساعات أخرى . ليت
شعري عمّ أسفرت مباريات اليبول الكبرى اليوم ؟ لا ريب
في ان من الرائع ان يتمكن الانسان من متابعة تلك المباريات
بالراديو فيما هو منهمك في الصيد ! ثم أضاف مخاطباً نفسه :
فكّر فيّها دائماً . فكّر في ما أنت بسيله . يجب ان لا
ترتكب حماقة ما .

وبعدئذ قال في صوت مرتفع :

— ه لشدّ ما أتمنى لو كان الغلام معي . إذن لمدّ إليّ يد

المساعدة ، واذن لشاهد هذا !

وفكّر : إن أحداً لا يجوز أن يواجه البحر وحيداً في مثل
سني هذه . ولكن لم يكن من ذلك بدّ . يجب أن آكل
التنّ قبل أن يفسد . إن هذا يحفظ عليّ قوتي . واذكر، مهما

تكن غير جائع ، ان عليك ان تأكل ذلك التّن في الصباح ،
أذكر ذلك !

وفي موهن من الليل تقدّم ختريان من خنازير البحر
نحو القارب ، وكان في ميسوره ان يسمع وثبها ونخبهما .
وكان في ميسوره أن يميز لهاث الذكر الغليظ من تنهد الانثى
الرفيق .

وقال الشيخ :

— « ختريان رائعان . انهما يلعبان ويمزحان ويحب بعضهما
بعضاً . وان بيننا وبينهما رباطاً من الأخوة كالذي بيننا وبين
السمكات الطائرة . »

ثم شرع يأسي للسمكة الكبيرة التي أوقعها في شركه . وقال
في ذات نفسه : إنها فاتنة عجيبة ، وليس يدري أحدٌ مبلغها
من العمر . أنا لم أرَ في حياتي كلها سمكة في مثل قوتها أو
في مثل مسالكها الغربية . لعلها من الحكمة والتعقل بحيث تحجم
عن الوثوب . وفي استطاعتها ان تهلكني لو وثبت أو اندفعت
اندفاعاً ضاربة . ولكن من يدري ؟ لعلها وقعت في الشرك مرات
عديدة من قبل فهي تدرك ان هذه الطريقة هي التي يتعين عليها
ان تصطنعها في القتال . إنها لا تستطيع أن تعرف ان خصمها
الذي تواجهه رجل واحد ليس غر ، وانه رجل هرم عالي
السن . ولكن أي سمكة هائلة هي ! وأي ثمن سوف تباع به
في السوق شرط ان يكون لحمها رقيقاً بعض الشيء ! لقد تناولت
الطعم كأنها ذكر ، وهي تشد كأنها ذكر ، وليس ينطوي نضالها
على شيء من الذعر . ألا ليت شعري ، هل في رأسها خطة ما ،
أم أنها مجرد يائسة مثلي أنا ؟

وذكر كيف ألقم الطعم ، ذات مرة ، أحدَ سيفين اثنين .
إن السمكة الذكر تدع السمكة الانثى تقتذي قبلها دائماً .
فما كان من السمكة التي نشب الشص في حلقها - السمكة
الانثى - إلا أن قانت قتلاً ضارباً مذعوراً يائساً ما لبث أن
انهك قواها . وطوال تلك الفترة اقامت السمكة الذكر الى
جانبها ، عابرة الخيط ، محوطة معها عند سطح الماء . وانما كان
نحويمها قريباً الى حد خشي الشيخ معه ان تقطع الخيط بذنبها
الحاد مثل المنجل وفي مثل حجمه وشكله تقريباً . حتى اذا
جذب الشيخ الانثى بمحجنه وأهوى عليها بالمرأوة ، متشبهاً
بمنقارها الذي كان طويلاً كالرمح خشناً مثل ورق الزجاج ،
ضارباً اياها على أم رأسها الى أن استحال لونها الى لون يكاد
يشبه لون القصدير الذي تطلّى به ظهور المرايا ، ثم رفعها هو
والغلام الى القارب - حتى اذا تمّ ذلك كله اقامت السمكة
الذكر الى جانب القارب لم تفارقه . وبعد ذلك ، فيما كان الرجل
العجوز يحمرّ الخيوط ويعدّ الحريون ، وثبت السمكة الذكر
عالياً في الهواء ، غير بعيد عن القارب ، ل ترى أين كانت انثاها
ثم غاصت في أعماق الماء ، وقد نشرت جناحيها المصبّغين بلون
أزرق فاتح وبكلمة اخرى زعانفها الصدرية - وبدت جميع
خطوط جلدها العريضة ذات اللون البنفسجي الزاهي . ما كان
أجملها ! وما كان أخلصها وأوفاها ! إن الشيخ لم ينسَ
ذلك قط .

وقال الشيخ في ما بينه وبين نفسه : هذه أفجع قصة
وقعت لي مع أسياف البحر . ولقد ران الحزن على الغلام
ايضاً فالتسنا من السمكة القنيل العفوّ والمغفرة ونحرنها

في الحال .

- ليت الغلام كان معي ! ، قال ذلك في صوت عال واستقر على ألواح مقدم القارب المستديرة ، وأحس من خلال الخيط المشدود الى كتفيه ، بقوة السمكة الضخمة تقوده في غير ما انقطاع الى حيث اختارت .

وفكر الشيخ : لقد غدرتُ بها غدرأ ، ولولا حباتي لما أكرهتُ على أن تختار . وكانت قد آثرت البقاء في اعماق المياه القائمة بعيداً عن جميع الأشواك والحبائل وضروب الغسلر . ثم جثت أنا واخترت ان أنطلق الى هنا لكي أبحث عنها بعيداً عن جميع الناس ، بعيداً عن جميع الناس في العالم . وها نحن الآن ، أنا وهي ، متحدان ، متحدان منذ الظهر . وليس ثمة أحد يمدّ إليّ أو إليها ، يد العون .

وقال في ذات نفسه : لعله ما كان ينبغي أن اكون صياداً ، ولكن ذلك هو الشيء الذي خلقتُ من أجله . يجب ان لا أنسى ، بحال من الاحوال ، ان آكل سمكة النّ حين يرتفع الضحى .

ومع الفجر أمسك شيء ما بأحد الاطعام التي كانت وراءه . وانقصف العود الأخضر ، وشرع الخيط يندفع فوق حافة ظهر القارب . وفي غمرة الظلام استلّ الشيخ مديته من غمدها ، وانحنى الى الوراء ، ملقياً ثقل السمكة بكاملها على كتفه اليسرى ، وقطع الخيط على خشب الحافة ، ثم انه قطع الخيط الآخر ، الأقرب اليه ، ووصل - في غمرة الظلام ايضاً - ما بين طرفي اللقيطين الاحتياطين . لقد عمل في كثير من البراعة بيد واحدة ، واطناً بقدمه على اللقيطين تثبيتاً لها ،

فبما كان مُحْكَمَ عَقْدِ الخيطين . وهكذا تَمَّتْ لَهُ ست لفائف
من الخيوطِ الاضافية . اثنتان من كل من الخيطين الرئيسيين
اللذين بترهما : واثنان من الخيط الذي وقعت سمكته في شركه .
وكانت كلها مترابطة .

وقال في ما بينه وبين نفسه : حين يرتفع النهار سوف
أُنْقَلِبُ الى الخيط البالغ طوله أربعين قامةً وأبتره هو أيضاً وأشدَّ
الخيوط الاضافية الى غيرها . وبذلك أخسر مثني قامة من حبال
الزوارق القطلونية الجيدة ، عدا الشصوص وقواعد الصنائير . ولكن
هذه كلها يمكن تعويضها ، اما سمكتي الكبيرة فن ذا الذي
بموضني منها اذا ما أُلْقِيتِ الشص سمكة اخرى فَقَطَّعَتْ
ما بيني وبينها ؟ أنا لا أدري ما نوع هذه السمكة التي اتهمت
الطعم في هذه اللحظة : أهي سيف ، أم عريض المنقار ، أم
قرش ؟ أنا لم أسحبها قط حتى أعرف . وينبغي أن أتخلص منها
في أسرع وقت مستطاع .

ثم قال بصوت عال :

— ليت الغلام كان معي !

وفكَّر : ولكن الغلام ليس معك . ليس معك غير جلدك
المهرم ، ومن الخير لك ان تترد الى خيطك الأخير ، الآن ،
سواء أكانت الظلمة غامرة الكون أم لم تكن ، ونقطعه ونضيف
خيطي الاحتياط الى سائر الخيوط .

وكذلك فعل . كان عملاً عسيراً في الظلام . وفيما هو
منصرف الى العمل وثبت السمكة وثية طرحته على وجهه أرضاً ،
وغادرت تحت عينيه جرحاً . وسال الدم على خده بعض الشيء .
ولكنه ما لبث أن تخثر وجف قبل أن ينتهي الى ذفته ، فالتخذ

الشيخ سيبله عائداً الى مقدّم القارب واستند الى خشبه . وعدّل وضع الكبس ، وفي عناية بالغة أزاح الحيط الى ناحية جديدة من كفيه . وإذا اتخذ من منكيه شبه آلة رافعة ، راح يقدر - في دقة - قوة السمكة . ليس هذا فحسب ، بل لقد صار في مسوره أن يُسبل يده في الماء لتتمّ له ، بذلك ، فكرة عن سرعة القارب .

ليت شعري لماذا وثبتّ هذه الوثبة ؟ ينبغي أن يكون الشخص المعدني قد انزلن فوق ظهرها الشبيه بالجل . وليس من ريب في أن ظهرها لا يمكن أن يؤلمها بقدر ما يؤلمني ظهري . ولكنها لا تستطيع أن تستاق هذا القارب الى الأبد ، مها كانت ضخمة . وعلى أية حال فقد تخلصت الآن من كل ما يعوقني . وإن عندي احتياطياً كبيراً من الحيوط . وهل كنت أطمع في شيء أكثر من ذلك ؟

وفي وداعة قال بصوت عال :

- « أيتها السمكة ، سوف أبقى معك حتى تحضرني

المنية ! »

وهي أيضاً سوف تبقى معي في ما أظن ، كذلك فكّر الشيخ ، وأنشأ ينتظر ارتفاع الضحى . كان الجو بارداً الآن ، قبيل الفجر ، فالتصق الشيخ بالخشب التماساً للدفء . وقال بينه وبين نفسه : سوف أبقى ما بقيت هي . ومع مولد الضوء بصراً بخطه ممتداً في انحراف نحو أعماق البحر . وتقدّم القارب في اطراد . حتى اذا ما ذر قرن الشمس أصابت أشعتها منكب الشيخ الأيمن .

وقال :

- و انها تتجه نحو الشمال .

وفكر : كان خليقاً بالتيار أن يدفع بنا الى بعيد في اتجاه الشرق . ولشد ما اتنى لو انحرفت السمكة مع التيار . فمثل ذلك يؤذن بأن التعب قد شرع يتطرق اليها . حتى اذا تقدمت الشمس في معارج السماء لم يبدُ على السمكة أيما اماراة من امارات التعب . ولكن كان ثمة ظاهرة واحدة مشجعة : فقد كان انحراف الخيط يؤذن بأنها كانت تسبح على عمق أقل من ذي قبل . ولم يكن ذلك ليعني ، ضرورة ، انها سوف تثب . ولكنها قد تفعل .

وقال الرجل المعجوز :

- دعها تقفز يا رب ! إن عندي مقداراً من الخيوط

لمواجهتها .

وفكر في ما بينه وبين نفسه : لعلني اذا جذبت الخيط جذباً اشد قليلاً آذاها ذلك فوثبت . والآن ، وقد طلع النهار ، فقد صار من الخير أن تثب كي تمتلئ الجيوب المرصوفة على طول عمودها الفقري بالهواء ، وعندئذ يتعذر عليها الغوص الى الاعماق والموت فيها .

وحاول أن يشد الخيط بعض الشيء ، ولكنه كان قد انتهى ، بعد ان التهمت السمكة شصته ، الى حال من التوتر تكاد تبلغ نقطة الانقصاص . حتى اذا انحنى الى الوراء لكي يجذبه اصطلم بمقاومة افهمته ان من المتعذر عليه تقصير الخيط بعد الآن . وفكر قائلاً : ينبغي أن لا أشده على الإطلاق . ان كل شدة توسع الشق الذي احدثته الصنارة ، فإنا تثب السمكة حتى تتحرر منها . وعلى أية حال ، فإن

الشمس تمدني بنشاط جديد ، وللمرة الأولى لا أجد الرغبة في النظر إليها .

وكانت اعشاب صفراء قد علفت بالخيط ، ولكن الشيخ رأى في ذلك حملاً جديداً يتعين على السمكة أن تقطره . وسعد بهذا . لقد كانت اعشاب الخليج الصفراء التي اطلقت ذلك الضوء القوسفوري كله في ساعات الليل .
ووجه الخطاب الى السمكة :

- « ايها السمكة ! أنا احبك وأكنّ لك اعظم الاحترام ولكنني سوف اصرك قبل ان يتقضي النهار ! »
وفكر بينه وبين نفسه : فلنرج ذلك .

وتقدم نحو القارب طائر صغير مقبل من ناحية الشمال . كان طائراً من تلك الطيور المفردة الحمراء الذنب ، وكان ينطلق مسافاً فوق سطح الماء . ولقد كان في ميسور الشيخ ان يلاحظ انه متعب جداً .

وانتهى الطائر الصغير الى مؤخر القارب ، واستراح هناك . ثم انشأ يحوم حول رأس الشيخ ليستقر فوق الخيط حيث نعم بقسط اكبر من الراحة .
وسأل الشيخ الطائر :

- « ما عمرك ؟ هل هذه أول رحلة تقوم بها ؟ »
ونظر الطائر اليه وهو يتكلم . كان من النعب بمحل جملة يحجم حتى عن التأمل في الخيط ودرسه . ولقد ترنح عليه فيما كانت قدماه الدقيقتان تتشبثان به .

وقال له الشيخ :
- « انه مكين . انه مكين اكثر مما يجب . وعلى كل حال ،

فليس ينبغي ان تكون متعباً الى هذا الحد بعد ليلة لا ربح فيها.
ما الذي يدعو الطيور الى الفرار ؟ ،

وبينه وبين نفسه قال : إنها البزاة . البزاة التي تنطلق الى
عرض البحر لكي تلقاه هناك . ولكنه لم يذكر شيئاً من ذلك
على مسمع من الطائر الذي ما كان في طوقه ان يفهمه على أية
حال ، والذي كان خليقاً به ان يتعلم أشياء كثيرة عن البزاة في
وقت قريب .

وقال مخاطباً الطائر الصغير :

— « لانعم براحة سابعة ، أيها الطائر الصغير . ثم انطلق
نحو اليابسة وانتهاز فرصك مثل أي رجل او طائر او سمكة . »
وشجعه الكلام ، لأن ظهره كان قد تصلب الليلة البارحة ،
فهو يؤلمه ألماً شديداً .

وقال :

— « ابقَ في منزلي اذا شئت . أنا آسف لعدم تمكيني من
نشر الشراع ونقلك الى اليابسة على جناح النسيم الرقيق الذي يهب
الآن . ولكن عندي ضيفاً عزيزاً ! »

وفي تلك اللحظة انتفضت السمكة انتفاضة مفاجئة صرعت
الشيخ عند مقدم المركب ، وكان خليقاً بها أن تقلد به
إلى أعماق اليمّ لو لم يتشبث بجانب الزورق ويرخي الحيط
بعض الشيء .

وكان العصفور قد طار حالماً انتفض الحيط . ولم يوفق
الشيخ الى أن يراه وهو يطير . لقد لمس الحيط ، في عناية ،
بيده اليمنى ، ثم لاحظ ان يده ملوثة بالدم .

— « هذا يعني أن شيئاً ما قد جرحها . » قال ذلك

بصوت مرتفع ، وجذب المحيط ليرى ما اذا كان في امكانه أن يقلب السمكة . ولكنه لم يكد يبلغ نقطة الانقصاص حتى كفّ عن الجذب ، والتمس سناداً يقاوم به ضغط المحيط .

وقال :

— « وأخيراً شعرتِ بألم الضربة ، أيتها السمكة . وكذلك ، شهد الله ، شعرتُ أنا ! »

وأجال طرفه في ما حوله بحثاً عن العصفور ، اذ كان يجد في رفقته عزاء وسلوى . ولكن العصفور كان قد مضى لسبيله .

وقال الرجل في ما بينه وبين نفسه : أنت لم تملك طويلاً . ولكنك مخطيء لأن المكان الذي تقصد اليه أفسى وأصعب ، حتى تبلغ الشاطئ . كيف أجزتُ للسمكة أن تصرعني بتلك الجذبة المفاجئة ؟ لقد غدوت أبله من غير ريب ! أو لعلني كنت أنظر الى العصفور وأفكرُ فيه . والآن ، ينبغي أن أعمل في يقظة ، وأن آكل التّن حتى أحفظ عليّ قوّتي .

وقال في صوت مرتفع :

— « ليت الغلام كان معي ! وليتني جئت بشيء من الملح ! »

وحولّ ثقل الحبل الى منكبه الأيسر ، وركع في احتراس ، وغسل يده في مياه المحيط وأبقاها مغمورة هناك مدة تزيد على الدقيقة ، مراقباً الدم وهو ينسحب على وجه البحر ، وحركة المياه المطرد حول يده فيما كان القارب يتابع

طريقه .

وقال الشيخ :

– « لقد تباطأ كثيراً . »

وكان يودّ لو يُبقي يده في المياه المالحة فترة أطول ، ولكنه خشي أن تجذبه السمكة جذبة أخرى مفاجئة . فنهض ، ملتصقاً سناداً يقيم به توازنه ، ورفع يده في وجه الشمس . كانت حزمة الخيط هي التي جرحت لحمه . ولكن الجرح كان في الجزء العامل من يده . ولقد عرف انه قد يحتاج الى يديه الاثنتين قبل أن يبلغ هذا الصراع غايته . ومن هنا كانت إصابته بهذا الجرح حتى قبل بدء الصراع أمراً مزعجاً .

وقال حين جفت يده :

– « والآن يجب أن آكل التّن الصغير . في استطاعني أن

أسجبه بالمحجن وأنعم بلحمه هنا ، في أمن . »

وانحنى الى أمام ، واستعان بالمحجن على سحب التّن من تحت مؤخر القارب ، محترساً من أن يمس الخيوط الملتصقة . ثم انه نقل الخيط الى منكه الأيسر كرة أخرى ، متكئاً على يده وذراعه الأيسر ، ونزع التّن من رأس المحجن ، وأعاد المحجن الى مكانه . حتى اذا تمّ له ذلك وضع إحدى ركبتيه على السمكة وانتزع قسداً طويلة من لحم أحمر داكن ، من مؤخر الرأس حتى الذنب . كانت قسداً إسفينية الشكل وكان قد قطعها من العمود الفقري الى حافة البطن . وحين وُفّق الى انتراع ست قند ، نشرها على خشب القيلوم ، ومسح مديته بجانب من بنطلونه ، ثم رفع هيكل التّن من ذيله وألقاه

في اليوم .

- « لست أظن أن في استطاعتي أن أكمل واحدة بكاملها . » قال ذلك وأمر سكينه عبر إحدى القدد . كان في استطاعته أن يستشر ضغط الجبل الثقيل المطرد . وتشنجت يده اليسرى . وألقى عليها نظرة اشمزاز فيها كانت تشبث بالخيوط تشبثاً شديداً .

وقال :

- « أي نوع من اليد أنت ؟ تشنجي إذا شئت . اجعلي من نفسك مخلباً ، فلن يفيدك ذلك شيئاً ! »
وفكر قائلاً : هيا ، ونظر الى الماء عند منحرف الخيط ، كل لحم التن هذا ، الآن ، فانه جدير بأن يقوي يدك . إن الذنب ليس ذنب اليد ، بعد ان قضيت هذا الوقت كله مع السمكة . ولكنك قد تبقى معها الى آخر الدهر . كل التن الآن .

وتناول قطعة حشا بها فم ، وأنشأ يمضغها في أناة . إنها لم تكن رديئة .

وقال في ذات نفسه : لمضغها جيداً وانتزع جميع عصاراتها . ولا شك في أنك لو اكلتها مع شيء من عصير الليمون الحامض أو عصير البرتقال ، أو مع شيء من عصير المالح ، لكانت أشهى .

وسأل يده المتشنجة التي انتهت الى أن تصبح متصلة مثل أيدي الموتى :

- « كيف حالك ، أيتها اليد ؟ سوف أكل مقداراً اضافياً من أجلك . »

وأكل الجزء الآخر من القدة التي كان قد قطعها نصفين .
ومضغها في تودة ، ثم نفل الجلد .
- « كيف تشعرين الآن ، أيتها اليد ؟ أم أن أوان معرفة
ذلك لم يحن بعد ؟ »

وتناول قطعة أخرى وحشا بها فمه .
وفكر بينه وبين نفسه : إن هذا التنّ حافل بالدم . ولقد
كنت محظوظاً حين اصطدته بدلاً من أن اصطاد أحد الدلافين .
فالدلافين حلوا أكثر مما ينبغي . أما التنّ فأبعد ما يكون عن
الحلاوة ، ولا تزال قوته كامنة فيه .

وأردف مخاطباً نفسه : وأياً ما كان فليس ثمة غير
شيء أساسي واحد : هو أن أأكل . وكما أتمنى لو كان
عندي قليل من الملح . والشمس ؟ أنفسد ما بقي أم تجفّفه ؟
لست أدري . وإذن فن الأفضل أن أأكل ذلك كله
على الرغم من أنني غير جائع . إن السمكة هادئة ثابتة .
سوف أأكل ذلك كله . وعندئذ أصبح مستعداً لاستئناف
العمل .

وقال :

- « إعتصمي بالصبر ، أيتها اليد ! إنما أكره نفسي على
الأكل من أجلك ! »

وبينه وبين نفسه قال : لشدة ما أتمنى لو أستطيع أن
أطعم السمكة . إنها أختي . ولكنّ يتعين عليّ أن أقتلها وإن
احتفظ بقوتي لكي أقدر على ذلك . وفي أناة ووعي ، أكل
القدد الأسفينية الشكل كلها .

وتصدّر ، ماسحاً يده بينظلوله .

وقال :

- « والآن ، في استطاعتك أن ترخي الحبل ، أينما البد ،
وفي ميسوري أن أمسكه باليد اليمنى وحدها حتى تكفني عن
هذا الهراء ! »

ووضع قدمه اليسرى على الحبل الثقيل الذي كانت اليد اليسرى
ممسكة به . واتخذ من جسده كله "مُخَلًّا" يخفف به وطأة الحبل
الذي أنقَضَ ظهره .

وقال :

- « يا إلهي ، ساعدني على طرد هذا التشنج . لأنني لا
أدري ما الذي ستفعله السمكة . »

وبينه وبين نفسه قال : ولكنها تبدو هادئة تتبع
خطتها المرسومة . وفكر : ولكن ما خطتها ؟ وما هي خطتي ؟
إن عليّ أن أرتجل خطة تتفق مع خطتها ، لأنها هي
التي تقود ما دامت على هذا العظم كله . ولو أنها قررت
أن تثب إذن لفتلتها . ولكنها تؤثر البقاء في الأعماق ،
إلى الأبد . وإذن فينبغي أن أبقى معها في الأعماق ،
إلى الأبد .

وحك يده المتشنجة بينظونه ، وحاول أن يلبس أصابعها .
ولكنها أبت أن تنفتح . ومن يلدي ، فلعلها أن تنفتح إذا
تعرضت لأشعة الشمس . لعلها أن تنفتح عندما تهضم
سمكة التّنّ النّيئة . ولكن إذا ما اضطرت إلى استعمالها فعندئذ
سأعتمد إلى فتحها ، مهما يكن الثمن . ولكنني لا أريد أن
أفتحها الآن عنوة . أنا أؤثر أن تنفتح هي بطوعها ، وإن تستأنف
الحركة والنشاط ساعة تشاء . وعلى أية حال ، فقد أسأت إليها

كثيراً ، اللبلة البارحة ، حين نعين عليّ ان احل مختلف الجيوب
ثم أشد بعضها الى بعض .

وأجال بصره في البحر واستشعر مدى الوحدة التي تكتنفه .
ولكنه ظلّ قادراً على أن يرى مواشير الضياء في الأعماق
المظلمة ، والخيط مندفعاً الى أمام ، وتموجات الماء الساجي
العجيبة . كانت ترتفع الآن الى أعلى للقاء الرياح التجارية .
وتطلّع أمامه فرأى سرباً من البط البري يناطح السماء ،
ثم يغيب ، ثم يسدو من جديد . وأدرك الشيخ أن المرء
لا يمكن أن يكون وحيداً ، وحدةً كاملة ، في عرض
البحر .

وفكر في اولئك الذين يحشون أن يركبوا الزوارق وينطلقوا
من الشاطئ الى أبعد من مدى النظر . وأدرك أنهم على صواب
في الاشهر التي تتقلب فيها الأحوال الجوية تقلباً مفاجئاً . ولكنهم
اجتازوا هذا الموسم ، ودخلوا في شهور الأعاصير . وحين تخلو
هذه الشهور من الأعاصير فلا ريب في انها أجمل أيام السنة
على الإطلاق .

وحين تنلر الدنيا بأعصار ، يكون في مستطاعك دائماً
ان تقرأ اماراته في السماء ، قبل بضعة أيام ، اذا كنت في
اليم . انهم لا يرونه من على الشاطئ لأنهم لا يعرفون إلام
ينبغي أن ينظروا - كذلك قال بينه وبين نفسه . ويجب أن لا
نسى ، الى هذا ، ان شكل السحب حين يُنظر اليها من اليابسة
غير شكلها حين يُنظر اليها من البحر . ولكن ليس ثمة أعاصير
مقبلة الآن .

ونطلع الى السماء فرأى الغيوم البيضاء المتلبدة على شكل

طبقات متراكمة من « البوظة » الشبيهة ، ورأى عالياً فوقها ، ريش الطحارير . الرقيقة تناطح سماء ابلول العالية .

وقال في صوت مرتفع :

— « نسيم عليل . هذا الجو يلائمني أكثر مما يلائمك ،
أيتها السمكة ! »

كانت يده اليسرى لا تزال متشنجة ، ولكنه كان قد شرع بحل عقدها شيئاً بعد شيء .

وفكر : أنا اكره التشنج . انه خدعة قلادة من خدع جسدك نفسه . والواقع ان اصابة المرء بالاسهال نتيجة للتسمم البتوميني والتقيؤ الناشئ عنه لأمرٌ مخجل حقاً أمام الناس . أما التشنج فقد كان ينظر اليه نظراته الى شيء أدهى من ذلك وأمرٌ ، شيءٌ يُخجل نفس المرء وبخاصة حين يكون وحيداً .

وبينه وبين نفسه قال : لو كان الغلام هنا اذن لفرك يدي وليتينا من الساعد . ولكن لا داعي للجزع ، فلا بد أن تعاودها الحياة .

وفجأةً ، وحتى قبل أن يرى التغير الذي طرأ على انحراف المحيط في الماء ، أحسّ بظاهرة جديدة في ثقل الجبل . فما كان منه إلا أن انحنى على المحيط صافعاً فخذه في قوة وعنف بيده اليسرى المتشنجة ، وأنشأ بتأمل المحيط

cirrus ، واحدها طحور ، وهي ضرب من الغيم حل شكل خيوط دقيقة متصلة على هيئة فرشاة أو ندب صوفية أو شبكات صغيرة . وتكون في الغالب على هيئة غيمة ريشية صغيرة في أعلى طبقات الجو . (المغرب)

وهو يرتفع .

وصاح :

— ها هو يصعد . هيا ، أيتها اليد ا هيا أرجوك ا ه
وارتفع الخيط في تودة واطراد . ثم انفتح الاوقبانوس أمام
القارب ، وانبتقت السمكة من الماء ، وكان انبثاقها متطاولاً
وكانه شيء لا نهاية له ، وكان الماء يقطر من جنباتها جميعاً .
كانت تتلألاً تحت أشعة الشمس ، وكان رأسها وظهرها بنفسجين
داكنين ، على حين كانت الخطوط التي توشح جانبيها عريضة
ذات لون أزرق ليلكي . أما رمحها فكان طويلاً كمضرب
البيسبول ، محدداً كالحسام . وانبتقت السمكة بكاملها من الماء ،
ثم غاصت من جديد بمثل مرونة الفواص . ورأى الشيخ الى
ذيلها الضخم الشبيه بالمنجل يغيب في الماء ، وأخذ الخيط يعدو
من جديد .

وقال الشيخ :

— إنها أطول من الزورق بقدمين اثنين .

كان الخيط يكرّ في سرعة ، ولكن في اطراد . ولم تكن
السمكة مدعورة على الاطلاق . ويديه الاثنتين حاول
الشيخ أن يشدّ الخيط في قوة ، عاذراً دائماً أن يباغ نقطة
الانقصاص . لقد أدرك أنه إن لم يعقّ حركة السمكة بضغط
مطرّد فعندئذ يصبح في ميسورها أن تمضي بالخيط كله
وتقطعه .

وقال في ذات نفسه : إنها سمكة هائلة ، ويتعين عليّ
أن أنتصر عليها . ينبغي أن أحول بينها وبين أن تكون فكرة
عن قوتها ، وما الذي تستطيع أن تفعله اذا ما انطلقت

تعدو . ولو كنتُ مكانها إذن لأقلعتُ ، في الحال ، عن كل شيء ومضيتُ حتى ينقطع شيء ما . ولكن هذه الحيوانات ليست ، والله الحمد ، على مثل ذكائنا ، نحن الذين نفتك بها . على الرغم من أنها أكثر منا نبلاً وأكثر مقدرة .

وكان الشيخ قد رأى في حياته كثيراً من السمكات الكبار . لقد رأى كثيرات ترن كل واحدة منها أكثر من ألف رطل ، واصطاد اثنتين في مثل ذلك الحجم . ولكنه ما كان يعمل وحده آنذاك . أما اليوم فهو متوحد على ظهر هذا الزورق ، وقد احتجب الشاطئ عن ناظره ، وشُدَّ إلى أكبر سمكة قدَّر له أن يراها أو أن يسمع بمثلها عُمره كله ، ولا تزال يده اليسرى مطبقة مثل برائن نسري أنشبت في إحدى الطرائد .

وبينه وبين نفسه قال : ولكن التشنج سوف يزيلها آخر الأمر . لا ريب في أنها سوف تلين لتساعد يدي اليمنى . إن هناك ثلاثة أشياء يجب أن تظل متلازمة تلازم الأخوة : السمكة ويداي الاثنان . أجل يتعين عليها أن تلين ... فليس جديراً باليد الوفية أن تصاب بالتشنج . وها هي ذي السمكة قد تباطأت كرةً أخرى وعادت الى سرعتها السوية .

وفكر : اني لأسأل لماذا وثبت ؟ لقد وثبت وكأنا تريد أن تريني مبلغ ضخامتها . وعلى أية حال فقد عرفتُ ضخامتها الآن . ولشدَّ ما أتمنى لو أستطيع أن أربها أي رجل أنا . ولكنها قد ترى ، عندئذ ، يدي المتشنجة . وأياً ما كان ،

فن الافضل ان أدعها تظن اني أكثر رجولة مما أبدو ، وهكذا أصبح كما ظننت حقاً . وتابع تفكيره : أتمنى لو كنت أنا السمكة . ان كل ما فيها متفوق . أما أنا فليس عندي غير إرادتي وذكائي .

واستند إلى الخشب ، وتحمل عذابه في صبر . وسبحت السمكة على نحو موصول ، وانساب القارب وبيداً عبر المياه الداكنة . وثار البحر ، بعض الشيء ، تحت وطأة الريح الهابطة من ناحية الشرق . وعند الظهر انطلقت يد الشيخ المتشنجة من عقابها .

- « هو ذا نبأ لا يسرك ، ابتها السمكة ! » قال ذلك وعدل وضع الخيط فوق الأكياس التي تغطي ظهره . واستشعر شيئاً من الراحة ، ولكن الألم كان 'يلع' عليه ، برغم انه لم يستلم بوجود ذلك الألم على الإطلاق . وقال :

- « أنا لست قبيحاً ، ولكي خليق بأن أتلو « أبانا » ، والسلام عليك يا مريم » ، إذا وفقت إلى اقتناص هذه السمكة . بل اني لأقسم لأحجنّ إلى مزار العنراء إذا ما اصطدتها . ذلك نذرٌ عليّ . »

وشرع يتلو صلواته على نحو آلي . وفي بعض الفترات كان التعب يرهقه الى درجة تنسيه كلماتها ، فهو يتلوها في سرعة لكي تنطلق ميكانيكياً . وبينه وبين نفسه قال : ان « السلام عليك يا مريم » أيسر من « أبانا » وأسهل .

- « السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة نعمة . الرب معك ، مباركة أنت بين النساء ، ومباركة هي ثمرة بطنك .

يسوع المسيح . أيتها القديسة مريم ، صلي من أجلنا نحن
الخاطئين ، الآن ، وفي ساعة موتنا ، آمين ! » ثم أضاف :
« أيتها العذراء المباركة ، صلي من أجل موت هذه السمكة ،
على الرغم من أنها سمكة رائعة ! »

حتى إذا أتم صلواته استشعر انه أنشط من ذي قبل . بيد
أن الألم ظل على حدته تماماً ، بل لعله انتهى إلى أن يكون
أشد مضاضة . وانحنى على خشب القيدوم وأنشأ بحرك أصابع
يده اليسرى .

وكانت الشمس لاهبة الآن على الرغم من ان النسيم اخذ
يهباً في رفق .
وقال الشيخ :

- « من الافضل ان أجدد أطعام ذلك الحبيط القصير
الذي في مؤخر القارب . وإذا اعتزمت السمكة أن تمكث
ليلة أخرى فسوف أكون مضطراً إلى ان آكل مرة ثانية .
وإلى هذا فيجب أن لا أنسى ان زجاجة الماء لم يبق فيها
غير ثمالة ضئيلة . ولست أظن أن في مستطاعي أن أفوز ههنا
بشيء غير بعض الدلافين . ولكن إذا أكلت لحمه طازجاً
جداً فقد لا يصعب عليّ أن أسيغه . وكم أتمنى لو ان سمكة
طائرة حطت في القارب هذه الليلة . ولكن ليس عندي أي
ضوء حتى أجتنبها . إن السمك الطائر شهوي جداً إذا أكل نيئاً .
ولن أكون مضطراً إلى تقطيعه . يجب أن ادّخر كامل
قوتي الآن . يا إلهي ، أنا ما كنت أعلم أنها كبيرة إلى
هذا الحد ! »

ثم أردف :

- « ومع ذلك فسوف أصرعها ، بعظمتها كلها ، ومجدها كله ! »

وفكّر : على الرغم من أن هذا ليس بعدل . ولكنني أريد أن أريها أيّ شيء يستطيع أن يعملهُ الإنسان وأيّ مشقّة يستطيع أن يحتمل .
وقال :

- « لقد قلت للفلّام إنني عجوز غريب . وما قد حانت الساعة التي يتعيّن عليّ أن أثبت فيها صدق قولِي . »

لكنّ إثباته ذلك الف مرة من قبل لا يعني شيئاً بالنسبة إليه .
وما هو ذا يقيم الدليل على صدق قائلِهِ كرهة أخرى . كانت كل مغامرة من مغامراته جديدة بالكلية ، وما كان ليفكّر يوماً بالماضي ، فيما هو منهمك في عمله .

وبينه وبين نفسه قال : ليتها تنام ، وعندئذ أستطيع أنا أن أنام وأرى الأسود في الحلم . لمَ كانت الأسود هي الشيء الرئيسي الذي بقي له ؟ وهنا قال لنفسه : لا تفكّر ، أيها الرجل العجوز . استرح الآن على الخشب ، ولا تفكّر بشيء . إن السمكة تعمل ناشطة . فاعمل أنت أقل ما تستطيع .

وتفضّت الظهيرة ، والقارب لا يزال يتقدم في اناة واطراد . ولكن النسيم المشرقي أخذ يسهم ، الآن ، في دفع القارب ، وهكذا حمل الشيخ ، في رفق ، على متن الأمواج . وغدا الألم الذي أناره الحبل في ظهره أخف وطأً وأدنى إلى الاحتمال .

وعند الاصيل عاد الخيط يرتفع كرة أخرى . ولكن السمكة
واصلت مسيرها على عمق أقل بعض الشيء . وكانت الشمس
تلقى أشعتها فوق كنف الشيخ وفراعه اليسرى وظهره ،
ومن هنا استنتج ان السمكة قد انجھت نحو الشمال
الشرقي .

أما وقد رأى السمكة مرة فقد صار في وسعه ان يتمثل السيف
صاحاً في الماء بزعائفه الحمراء الداكنة ، المنشورة كالأجنحة ،
وبذيله الأفقي الضخم يشق حجاب الظلام . وقال الشيخ بينه
وبين نفسه : ليت شعري إلى أي مسدى يستطيع ان يبصر في
تلك الاعماق ؟ إن عينه هائلة ، وفي استطاعة القرش أن يرى
سييله في الظلام بعين أصفر بكثير . ولقد أتى عليّ حين من
الدهر كنت ابصر خلاله جيداً في الظلام . لست أعني في الظلام
المطلق . ولكن كما ترى المرة تقريباً .

وكانت الشمس وتخريكه أصابع يده اليسرى تحريكاً موصولاً
قد أذهب عنها التشنج نهائياً . وهكذا صار في ميسوره أن يعهد
اليها في نصيب من العمل أكبر . ثم انه رفع عضلات ظهره
ليزيح الوزر الذي أنقضه ، بعض الشيء .

وقال في صوت عال :

— « إذا كنت لما تتبعني بعد ، أيتها السمكة ، فلا بد
ان تكوني عجيبة جداً ! »

وكان هو قد استشعر انه متعب كثيراً . وكان يعلم ان الليل
قد أمسى قريباً ، فحاول ان يفكر في أشياء أخرى . لقد فكّر
في مباريات البيسبول الكبرى ، وفي المباراة الجارية بين بانكي

وقال في ذات نفسه : ها قد انقضى يوم ثانٍ لم اعرف فيه نتائج اللعب . ولكن يجب أن أكون قوي الإيمان ، وان أكون جديراً بـ « دي ماغيو » العظيم الذي يعمل كل شيء على الوجه الاكمل برغم الالم الذي يورثه إياه نتوء العظم في عقبه . وسأل نفسه : ولكن ما بروز العظم ؟ نحن لم نُصَبْ به . أممكن أن يكون مؤلماً كدخول شوكة ديك في عقب امرئ من الناس ؟ أنا لا أظن ان في طاقتي ان اصاب بذلك أو بفقدان احدى عيني أو كليتيها ثم أواصل القتال كما تفعل الديكة المحاربة . ان الرجل ليس شيئاً كبيراً إذا قيس بالطيور الضخمة ، والحيوانات المفترسة . ومع ذلك فلو كان لي ان اختار لما اخترت أن أكون غير هذا السيف السابح هناك في اعماق البحر المظلمة .

وقال في صوت مرتفع :

— « إلا إذا أقبلت الاقراش . لأنه إذا أقبلت الاقراش فعندئذ يرحمه ويرحمني الله ! »

وفكر : هل تحسب ان دي ماغيو العظيم يستطيع ان يمكث مع احدى السمكات الكبار طوال المدة التي سأمكنها مع هذا السيف ؟ أنا واثق من انه خليف بأن يمكث هذه المدة كلها وزيادة ما دام نضر العود قوياً . وإلى ذلك ، فقد كان أبوه صياداً . ولكن هل سيؤله نتوء العظم في عقبه كثيراً ؟

وقال في صوت مرتفع :

— « لست أدري . أنا لم أصب بتواء العظم قط . »

وفيما الشمس تنجح إلى الغروب تذكر ، لكي يعزز ثقته بنفسه ، يوم لعب في إحدى حانات الدار البيضاء لعبة « اليد الحديدية » مع زنجبي عظيم مثل « سيانقوغوس » . كان أقوى رجال المرفأ وأشدّهم بأساً . وكانا قد سلخا يوماً وليلة ، ومرفقاهما فوق خط رُسم بالطباشير على الطاولة ، وساعدهما منتصبان ، ويداهما مشبكتان في إحكام . وكان كل منهما يبذل غاية جهده لكي يلوي يد الآخر ويكرهها على أن تمسّ الطاولة . وراجت سوق المراهنة ، وطفق الناس يدخلون الغرفة ويفادورنها على ضوء مصابيح الكبرومين ، وكان هو قد رنا إلى ذراع الزنجبي ، ويده ووجهه . وتناوب المحكمون على مراقبتها ، مرة كل اربع ساعات ، بعد الساعات الثماني الأولى ، لكي يكون في ميسورهم أن ينالوا حظهم من النوم . وتفجّر الدم من تحت أظافر يده وأظافر يد الزنجبي . ونظر كل منهما في عيني الآخر ، وإلى يديه وساعديه . وتدفق المتراهنون إلى الغرفة غادين راثحين ، وقعدوا على كراسي عالية ، مستندة إلى الجدران ، وانشأوا يراقبون اللعبة . وكانت الجدران مدهونة بلون أزرق زاه ، وكانت خشبية ، وكانت المصابيح تلقي ظلالها عليها . كان ظل الزنجبي هائلاً ، وكان يمايل على الجدار كلما عبث النسائم بضوء المصابيح .

وطوال الليل ، تأرجح النصر ذات اليمين وذات الشمال . وقدّم القوم شيئاً من خمر الـ « الروم » إلى الزنجبي ، وأشعلوا له السجائر . ثم ان الزنجبي أفرغ ، بعد تناوله الشراب ،

جهداً هائلاً فوقت مرةً إلى ان يلوي يد الشيخ - الذي لم يكن شيخاً آنذاك ، ولكن سانياغو البطل - El Campeon - نحواً من ثلاثة إنشات . بيد ان الشيخ ما لبث أن أعاد يده إلى الارتفاع عنه تماماً . وفي تلك اللحظة عمرت القبة فزاده بأنه لا بدّ غالباً الزنجي . وعند بزوغ الفجر ، ساعة أصرّ المراهنون على أن يُعتبر الفريقان متساويين ، وهز المحكمون رؤوسهم ، أفرغ الشيخ كامل قواه ، فجأةً ، وأكره يد الزنجي على أن تنثني شيئاً بعد شيء حتى مسّت الخشب آخر الأمر . لقد استهلّت المباراة صباح يوم من أيام الاحد ، ثم لم تنتهِ إلاّ صباح يوم الاثنين . وكان كثير من المراهنين قد طالبوا بإعلان التكافؤ لاضطرارهم إلى الذهاب إلى المرفأ حيث ينقلون أكياس السكر او إلى شركة الفحم الحجري الهافانية . ولولا ذلك لكان كل امرئ منهم خليفاً بأن يؤثر استمرار المباراة حتى النهاية . ولكنه أنهاها ، على أبة حال ، وقبل أن يمضي أحد من الجماعة إلى عمله .

وطوال فترة غير يسيرة تقضت على هذا الحادث ، خلع القوم عليه لقب « البطل » . وفي الربيع أُجريت مباراة الاخذ بالثأر . ولكن سوق المراهنة لم تَرُج ، وكسب الشيخ الجولة في كثير من اليسر بعد أن وُفق إلى تحطيم معنوية الزنجي في المباراة الأولى . من ذلك الحين خاض بضعة مباريات ، ثم كفّ عن ذلك مرة واحدة . لقد قرر ان في وسعه أن يهزم أي امرئ هزيمة شنعاء لو شاء ، ولكن ذلك خليق به أن يؤذي يده اليمنى ويضعف من فعاليتها في الصيد .

ولقد حاول أن يخوض بضع مباريات تدريبية بيده اليسرى . ولكن يده اليسرى كانت خثوئاً أبداً . كانت تأبى الاذعان لأوامره ، وما كان ليثق بها بحال .

وفكر قائلاً : سوف تخلصها الشمس جيداً ، الآن . وينبغي أن لا يعاودها التشنج كرة أخرى ، إلا إذا أمسى الجو قارساً جداً أثناء الليل . ألا ليت شعري ، ما الذي ستحملة إليّ هذه الليلة ؟

ومرت فوق رأسه إحدى الطائرات ، وكانت في طريقها إلى ميامي . وأوقع ظلها الذعر في قلوب السمكات الطائرة . وقال :

— لا بد أن تكون ثمة دلافين مع هذه السمكات الطائرة كلها . ، وجذب الخيط قليلاً ليرى ما إذا كان يستطيع أن يكسب مقداراً منه . ولكنه لم يوفق إلى ذلك ، فكف عن محاولته عندما أدرك ، من قسوة الخيط وذبذباته ، أنه على وشك أن ينقطع . وتقدم القارب على مهل . وراقب الشيخ الطائرة حتى غابت عن البصر .

وبينه وبين نفسه قال : يجب أن يكون امتطاء الطائرة شيئاً غريباً جداً : وبإليت شعري كيف يبدو البحر من ذلك العلو الشاهق ؟ لا ريب في أنهم يستطيعون أن يروا الأسماك جيداً إذا لم يخلقوا كثيراً في السماء . ولكم أحب لو أطيروا ، في تودة ، على ارتفاع مثني قامة وأرى الأسماك من عل . ففي زوارق صيد السلاحف كنت أقف فوق عوارض السارية ، وحتى على ذلك الارتفاع كان في مكنتي أن أرى كثيراً . لقد بدت الدلافين من هنالك أشد خضرة ، وكان في استطاعتك أن ترى

الجمهرة كلها وهي تسبح . لم كانت لجميع أسماك التيار المظلم الخفية ظهور ارجوانية ؟ ولم كانت لها في معظم الاحوال خطوط أو نقطة أرجوانية ؟ إن الدلافين يبدو أخضر لأنه ذهبي من غير شك . ولكن ما ان يلتصق طعامه بعد ان يستبدّ به الجوع حتى تبرز الخطوط الأرجوانية على جنباته مثل أسياف البحر . ترى ، ما الذي يُطلع هذه الخطوط ؟ الغضب أم السرعة البالغة ؟

وقيل هبوط الليل فيما كانا يجوزان جزيرة كبيرة من عشب سارغاس المرتفع المتوج وكأنّ الاوقيانوس كان يغازل شيئاً ما تحت غطاء أصفر ، ابتلع احد الدلافين شص خيطه الخلفي القصير . واقد رآه ، أول ما رآه ، حين وثب في الهواء . كان لونه ذهبياً حقاً ، تحت أشعة الشمس المحتضرة ، وكان ينحني ويخط بذنبه خطاً ضارباً . ووثب مرة ومرة في بهلوانية ذعره . وجثم الشيخ ، ممسكاً بالحبل الكبير بيده اليمنى وذراعه ، وارتد إلى مؤخر القارب . وبيده اليسرى جذب الدلافين واطشاً ما يكسبه من الخيط بقدمه الخافية . حتى إذا انتهت السمكة إلى مؤخر القارب مدعورة واثبة منخبطة في يأس ، انحنى الرجل العجوز ورفع السمكة الذهبية الصقيلة ، بنقطها الأرجوانية ، إلى ما فوق مؤخر القارب . كانت تفتح فمها وتغلقه ، في تشنج ، على الشص . وكان جسدها الطويل المسطح يضرب ألواح القارب في حلق وعنف . ثم إن الشيخ أهوى بالهراوة على رأسها الذهبي المتوهج ، فارتعدت ثم سكنت سكون الموت .

وانتزع الشيخ الشص من فم السمكة ، وطعم الخيط

بسمكة سردين جديدة ، وألقى به في اليم . ثم اتخذ سبيله ،
وثبداً وثبداً ، إلى مقدم القارب ، وغسل يده اليسرى
ومسحها ببعض بنطلونه . ثم نقل الحبل الثقيل من يده اليمنى
إلى يده اليسرى ، وغسل يده اليمنى في البحر ، فيما كان
يراقب الشمس تغيب في الاوقيانوس ، وينظر إلى انحراف الحبل
الكبير .

وقال :

- « إنها لم تتغير على الإطلاق . »

ولكنه حين استشعر جريان الماء عبر يده أدرك ان حركة
القارب قد تباطأت على نحو ملحوظ .

وقال :

- « تحدثني نفسي بأن أثبت المجذافين معاً عبر مؤخر
القارب ، وبذلك أخفت من سرعة السمكة أثناء الليل . إنها
مستعدة لقضاء سهرة طويلة . وكذلك أنا . »

وفكر : من الخير أن انتزع أحشاء الدلفين بعد قليل
لكي يحفظ الدم في لحمه . سوف أنتزعها عما قليل ، حين
أثبت المجذافين معاً تعويهاً للحركة . وبخيل إليّ ان من
الافضل أن أدع السمكة وشأنها الآن فلا ازعجها كثيراً في
ساعة الغروب هذه . إن ساعة الغروب توهن عزائم السمكات
جميعاً .

وترك يده تجف في الهواء ، ثم تلتفت الحبل بها ، وأراح
جسده المكثود ما وسعه ذلك ، منحياً على الخشب . وهكذا
حمل القارب مثل ما يحمله هو من ثقل الحبل المشدود ،
أو أكثر .

وقال في ذات نفسه : لقد بدأت أتقن الصناعة - أو هذا الجزء منها على أية حال . ويجب أن لا أنسى ، فوق ذلك ، أنها لم تأكل شيئاً منذ ان وقعت في الشرك ، وأنها ضخمة جداً ، ومحتاجة إلى مقدار كبير من الغذاء . أما أنا فقد أكلت الثنّ بكامله . وغداً سوف أكل الدلفين . ولعله يتعيّن عليّ أن أكل جزءاً منه وأنا انتزع امعاءه وأنظفه . وسوف يكون مضغه أصعب من مضغ لحم الثنّ . ولكن ليس ثمة ما هو يسر ، الآن .

وسألها في صوت عال :

- « كيف أنت ، أيتها السمكة ؟ أنا استشعر النشاط . ويدي اليسرى أحسن من ذي قبل . وعندى من الطعام ما يكفيني هذه الليلة ونهار غد . إسحبي القارب ، أيتها السمكة ، إسحبي ! »

وفي الحقّ انه لم يكن في حال حسنة كما زعم ، لأنّ الألم الذي أنزله الحيط الغليظ بظهره كاد يتعدى تخوم الألم لينتهي إلى خدر كان موضع ارتياحه . وقال في ذات نفسه : ولكنني عانيتُ ما هو أسوأ من هذا . إن يدي اليمنى مجروحة جرحاً بسيطاً ، ولقد تحررت يدي الأخرى من التشنج . أما رجلاي فلم يصبها أذىٌ ما . وفوق هذا كله ، فقد تمّ لي التفوق على السمكة - بعدما ادخرته من غذاء - في ميدان التجلد والاحتمال .

وجلبب الظلام الكون . ففي ايلول يهبط الليل بعد غروب الشمس مباشرة . واستند الشيخ إلى القيدوم البالي ، واستراح ما وسعه أن يستريح . وبرزت طلائع النجوم .

ولم يكن يعرف اسم « رجل الجبار » . ولكنه رآه ، وأدرك
ان جميع أصدقائه الأبعدين سوف يشتهرون وشيكاً في أجواز
السماء .

وقال في صوت عال :

— « والسمة صديقتي أيضاً . أنا لم أر ولم أسمع بسمة مثل
هذه من قبل . ولكني مضطر إلى ان أقتلها . كم انا سعيد لعدم
اضطرارنا إلى ان نقتل النجوم ! »

وبينه وبين نفسه قال : تخيل لو كان على الانسان أن ينطلق
كل يوم لقتال القمر ! لا شك في ان القمر خليف في هذه الحال
بأن يطلق ساقبه للريح . ولكن تخيل لو تعين على الانسان ان
ينطلق كل يوم لقتال الشمس ؟ وفكر : نحن مخلوقات محظوظة
من غير ريب .

ثم أخذه الحزن على السمة الكبيرة حين خطر له ان
ليس عندها ما تأكله . ولكن نصيبه على قتلها لم يضعف
نتيجة لحزنه ذاك على الاطلاق . وفكر : كم رجلاً سوف يغتذي
من لحمها ؟ ولكن هل هم جديرون بأن يأكلوا لحمها ؟ لا ،
طبعاً لا . ليس ثمة من هو جدير بأن يأكل هذه السمة بعد
الذي تكشفت عنه من شجاعة وجلال .

وقال في ذات نفسه : أنا لا أفهم هذه الاشياء . ولكن من
حسن الطالع أننا غير مضطرين إلى ان نطارده الشمس أو القمر
أو النجوم . حسبنا أن نعيش على البحر وأن نطارده اخوتنا
الحقيقيين .

• Rigel أو Bote Orionis نجم ضارب الى الزرقة في برج أوريون (او الجبار) .
(المغرب)

وفكر : والآن يتعين عليّ ان انظر في مسألة تعويق حركة القارب . إن لها مخاطرها وحسنتها . ذلك اني إذا ثبتت المجذافين فقد أخسر جزءاً كبيراً من الخيط إلى درجة تعرض السمكة للضياح ، إذا ما خطر لها أن تفرغ قوتها كلها في الجذب وفقد القارب خفته . صحيح ان خفة القارب تطيل آلامي وآلامها ، ولكنها مناط سلامتي لأن السمكة لما تنطلق بعد بأقصى سرعتها . وأبداً ما كان فينبغي أن أنتزع أحشاء الدلفين حتى لا يفسد ، وأن آكل شيئاً منه لكي أظل قوياً .

والآن سأستريح ساعة اخرى ثم أتأكد من ان السمكة هادئة مطردة الخطى ، قبل أن أنقلب إلى مؤخر القارب لأقوم بعملتي وأحزم أمري . وفي أثناء ذلك يكون في استطاعتي أن أراقب مسلكتها وما قد يطرأ عليها من تطورات . إن فكرة المجذافين هذه بارعة . ولكننا انتهينا الآن إلى مرحلة تقتضي كثيراً من الانتباه والحذر ! فهذا السيف لا يزال سمكة صوبة لها ما لساثر الاسماك الكبيرة من قوة وجروت . ولقد رأيت الشص في زاوية فمه وقد أطبق فمه اطباقاً محكماً . ولكن بلاء الشص ليس شيئاً . البلاء الحقيقي هو الجوع ، وكونه يقاتل ضد شيء لا يفهمه . فاسترح الآن ، أبها الرجل المعجوز ، ودعه يعمل حتى يحين دورك في العمل .

واستراح ساعتين - أو ذلك ما بدا له . وإذا لم يطلع القمر إلا في ساعة متأخرة فقد عديم الوسيلة لمعرفة الوقت . ثم ان الراحة التي نعم بها لم تكن في الواقع غير راحة نسبية .

كان لا يزال يحمل ثقل السمكة على منكبيه ، ولكنه وضع يده اليسرى على حافة القيدوم ، مسنداً إلى القارب نفسه جزءاً متعظلاً من مهمة المقاومة .

وفكر : كم كان الامر خليقاً بأن يكون اسهل لو استطعت أن أشد الخيط إلى شيء ما . ولكن السمكة قمينة ، عندئذ ، بأن تقطعه بنبذة صغيرة واحدة . يجب أن أنخذ من جسدي وسادة تخفف من وطأة الضغط ، وان أكون مستعداً ، في كل لحظة ، لأن أرخي الخيط للسمكة ، بيديّ الاثنين .

وقال بصوت مرتفع :

— ولكنك لم تنم بعد ، أيها الرجل العجوز . لقد سلخت نصف نهار و ليلة بكاملها وها أنت تضيف إلى ذلك نهاراً جديداً وعيناك لم تعرفا الغمض لحظة واحدة ! يجب أن تستنبط وسيلة تمكنك من أن تنام بعض الشيء إذا ظل السيف يجرّك مثل هذا الجر الهادئ . لأنك ان لم تنم فقد يزال الصفاء رأسك .

وفكر : إن رأسي صافٍ . بل انه صافٍ أكثر مما ينبغي . أنا في مثل صفاء النجوم التي هي اخوتي . ومع ذلك فيجب أن أنام . إن النجوم تنام . والقمر والشمس ينامان . وحتى المحيط ينام أحياناً في بعض الايام التي لا تيار فيها والتي يرين فيها الهدوء على وجه الماء .

وقال في ذات نفسه : ولكن لا تنسَ ان عليك ان تنام . أجبر نفسك على ذلك وابتدع وسيلة صغيرة مضمونة تقي الخيوط شر المفاجآت . والآن ، إرتدّ إلى الوراء وأعدّ الدلفين . إنه

ليس من الحكمة أن تثبّت القارب بالمجذافين إذا كنت مضطراً إلى الرقاد .

وخطاب نفسه قائلاً : في استطاعتي ان استغني عن النوم . ولكن ذلك صنيعٌ بالغ الخطورة .

وشرع ينكفيء إلى مؤخر القارب على يديه وركبتيه ، محاذراً ان يجذب الحيط بأي حال . وقال بينه وبين نفسه : جائز ان يكون هذا السيف هو نفسه نصف نائم . ولكن هذا ليس من شأني . أنا اريد ان يحلّ التعب بساحته . يجب ان يجذب الحيط حتى يموت !

وإذ انتهى إلى مؤخر القارب ، استدار ممسكاً الحبل بيده اليسرى ، على حين استل مديته من غمدها بيده اليمنى . كانت النجوم متألفة ، وكان في مسوره أن يرى الدلفين في وضوح . وغيب شفرة المديّة في رأسه وجذبه نحوه . ثم أنه وضع إحدى قدميه على الدلفين ، وشقّه في خفة من أدنى بطنه إلى أعلى فكّه الأسفل . ثم وضع مديته جانباً وراح ينتزع أحشاء الدلفين بيده اليمنى ، مفرغاً جوفه وخياشيمه . وكان الكرّش ثقيلاً زلقاً بين يديه . وفتحها فإذا فيه سمكتان طائرتان . كانتا طازجتين مكترزتين . فوضع أحدهما إلى جانب الأخرى وقذف بالنفاية في الماء ، فغاصت مخلفة وراءها خطأ فوسفوري التوهج . وكان الدلفين بارداً . وإذا انطرح هناك تحت أشعة النجوم ، فقد بدا الآن أجذم شديد الشحوب . وسلخ الشيخ الجلد عن جانب من الدلفين واطأ رأسه بقدمه اليمنى . ثم قلبه وسلخ الجلد عن الجانب الآخر . وانتزع لحمه من الرأس حتى الذنب .

ثم انه طرح الهيكل في عرض البحر ، ونظر ليرى ما إذا كان ثمة درادير في الماء . بيد انه لم يجد شيئاً غير انحدار متباطيء مضيء . فاستدار ووضع السمكتين الطائرتين في داخل قذتي اللحم اللتين سلخهما من الدلفين ، وأغمد مديته واتخذ سبيله في بطاء إلى مقدم القارب . كان ظهره محدودباً تحت ثقل الخيط ، وكان يحمل لحم الدلفين بيده اليمنى .

وحين بلغ مقدم القارب نشر قذتي اللحم على الخشب ، ووضع السمكتين الطائرتين إلى جانبيها ، ثم ركَرَ الحبل فوق ناحية أخرى من كفتيه ، ممسكاً به باليد اليسرى ، مستنداً إلى حافة القارب . وبعد ذلك انحنى ليغسل السمكتين الطائرتين بالماء ، وليقدر سرعة المياه وهي تندفع عبر يده . وكانت يده تتألق بضياء فوسفوري بسبب من انتزاعه جلد الدلفين بها ، فراح يراقب تدفق الماء حوالبيها .

كان البحر أكثر هدوءاً . وحين حكّ راحة يده بألواح القارب تناثرت منها ذرات من الفوسفور وارتدت في تودة نحو مؤخر القارب .

وقال الرجل المعجوز :

— « هي إما منعبة أو مخلدة إلى السكينة . والآن دعني أمضي في التهام هذا الدلفين ، وأنعم بشيء من الراحة وقليل من النوم . »

وتحت النجوم ، وفي غمرة من الليل الآخذ برده في الاشتداد شيئاً بعد شيء ، أكل نصف قدة من لحم الدلفين وإحدى السمكتين الطائرتين بعد أن اطرح أحشاءها واقطع رأسها .

وقال :

- « ما أشهى الدلفين حين يؤكل مطبوخاً ! وما أنفسه من سمكة حين يكون نيئاً ! أنا لن انطلق في قارب ، بعد اليوم ، من غير أن اصطحب شيئاً من الملح او الليمون الحامض . »

وقال في ذات نفسه : لو كان في رأسي دماغ لسفحت الماء ، طول النهار ، على مقدم القارب . حتى اذا جفّ كان في ميسوري ان افوز بشيء من الملح . ولكني ما كنت خليقاً ، في مثل هذه الحال ، بأن أوقع الدلفين في الشرك إلا مع غروب الشمس . ومهما يكن ، فلا ريب في ان ذلك دليل على اهمالي . ولكني مضغت اللحم كله جيداً ولم استشعر شيئاً من الغثيان .

وتلبدت السحب في ناحية المشرق ، حاجبة النجوم التي يعرفها الشيخ واحداً لآخر واحد . لقد بدا وكأنه يمضي في وادٍ من الغيوم سحيق . وسكنت الريح .

وقال الشيخ :

- « سوف تسوء الأحوال الجوية بعد ثلاثة ايام او اربعة ، ولكن ليس الليلة ولا غداً . فما عليك ، ايها الرجل المعجوز ، إلا أن تستعد لشيء من الرقاد ما دامت السمكة هادئة مطردة السير . »

وأطبق يده اليمنى على الخيط إطباقاً محكماً . وضغط بفخذه على تلك اليد ، فيما كان ينحني بثقله كله على خشب القبلوم . ثم خفض الجبل فوق كتفيه خفضاً جزئياً وأوثقه تحت يده اليسرى .

وفكر قائلاً : في استطاعة يدي اليمنى أن تقاوم في بسالة ما دام الخيط موثقاً على هذا النحو . ولو قد تراخت أثناء النوم فعندئذ توقظني يدي اليسرى حالما يولي الخيط فراراً . ولا ريب في ان هذا العبء سوف يكون ثقيلاً على يدي اليمنى . ولكن ، لا بأس ، فقد شهدت في أيامها ضروباً من البلاء . وحتى لو نمت نصف ساعة أو عشرين دقيقة اذن لأفادني ذلك بعض الشيء . وانحنى الى امام لكي يقاوم بجسده كله ثقل الخيط . واذا تركزت قوته برمتها في يده اليمنى استسلم للرقاد .

ولم يرَ الأسود في ما يراه النائم هذه المرة . لقد رأى رتلاً ضخماً من خنازير البحر يبلغ طوله ثمانية أميال أو عشرة . وكان ذلك في موسم التناسل ، فهي تثب عالياً في الهواء ثم ترتد الى الحُفر نفسها التي احدثتها في الماء عند انطلاقها منه .

ثم رأى في المنام انه مضطجع في فراشه في القرية . وهبت ربح شمالية ، وعصف به البرد القارس . وكانت ذراعه اليمنى نائمة ، لأن رأسه استقر فوقها بدلاً من أن يستقر فوق وسادة ما .

وبعد ذلك انشأ يحلم بالشاطئ الاصفر الطويل ، فرأى طليعة الأسود يهبط نحو البحر في غبشة الغسق ، يتبعه سائرهما على الاثر . وأراح الشيخ ذقنه على خشب القيدوم وطلق يتأمل . لقد أقامت سفينته توازنهما بأن ألقت مراسيهما . وهبت نسائم المساء من الشاطئ . ترى ، هل ستغد أسود اخرى ؟ وغمرت الشيخ السعادة .

وكان القمر قد طلع منذ فترة غير قصيرة ، ولكن الشيخ استرسل في رقاده . وواصلت السمكة جذبها في اطراد ، وشق الزورق طريقه في نفق من الغيوم .

وفجأة انتفضت يده اليمنى فلطمت وجهه . كان الحبل قد ألحب يده اليمنى إلهاباً ، وكانت يده اليسرى خصلرة لا حصن فيها . وكبح الخيط بيده اليمنى ، أقصى ما يستطيع الكبح ، ولكن الخيط اندفع هارباً . وأخيراً عثرت يده اليسرى على الخيط وارتدت الى الوراء ضاغطاً على الخيط بظهره ، فاذا بالخيط يحرق ظهره ويده اليسرى ، وإذا بيده اليسرى تنهض الآن بالعبء كله فيحترها الحبل ويدميتها . والتفت الشيخ ليلقي نظرة على لفائف الخيوط ، فألفاها تكرر على رسلها . وفي تلك اللحظة وثب السيف محدثاً انفجاراً هائلاً في مياه المحيط ثم هوى في ثقل . وما هي الا فترة حتى عاود الوثوب مرةً ومرةً ، وانطلق الزورق في سرعة برغم طول الحبل المرخي له ، وبرغم ان الشيخ أنشأ بجذب الخيط ويجذبه في ضراوة ، حتى نقطة الانقصاص . وكان من نتائج هذا الصراع أن طرح الشيخ فوق مقدم القارب ، وارتطم أنفه بلحم الدلفين ، فبات لا يطيق حراكاً . وفكر قائلاً : ذلك ما كنا نتظره . وإذن فلا محل للشكوى .

وبينه وبين نفسه قال : إحمله على دفع ثمن هذه الخيوط كلها . إحمله على دفع ثمنها !

ولم يكن في ميسوره أن يرى السمكة وهي تثب . بيد انه كان يسمع تفجّر المحيط عند انطلاقها وطشيش الماء عند

سقوطها . وكان الخيط بكرّ في سرعة فيحتر يدبه ويلهبها ، ولكنه ما كان يتوقع شيئاً غير ذلك . وحاول ان يصطنع الاجزاء الصفيقة من يديه ، محاذراً أن يمس الخيط باطن كفيه او يتزلزل بين اصابعه .

وقال في ذات نفسه : لو كان الغلام هنا اذن لبلّ الخيوط .
أجل لو كان الغلام هنا ! لو كان الغلام هنا !
وكرّ الخيط ، وكرّ ، وكرّ ، ولكنه شرع يتباطأ الآن . وأكره الشيخ السمكة على أن تدفع غالباً ثمن كل انش منه . ورفع رأسه عن مقدّم القارب ، وأزال عن وجهه لحم الدلفين الذي سحقه خده ، ثم نهض على ركبتيه واستوى قائماً في أناة . كان يرخي الخيط على نحو موصول ولكنه أخذ في التباطؤ شيئاً بعد شيء . وانكفاً الى حيث يستطيع ان يلمس بقدميه لفائف الخيوط التي عجز عن رؤيتها . كان لا يزال ثمة مقدار وافر من الخيوط ، وكان على السمكة الآن ان تحتمل ثقل هذه الحبال الاضافية .

وقال في ذات نفسه : أجل . لقد وثب السيف أكثر من اثنتي عشرة مرة ، حتى الآن ، وملأ الجيوب المرصوفة على ظهره بالهواء فليس في استطاعته أن يغوص ليموت في أعماق البحر حيث أعجز عن اخراجه . انه سوف يبدأ وشيكاً في النحويم ، وعندئذ يجيء دوري في سوقه الى المكان الذي أشاء . ترى ما الذي أثاره على هذا النحو الفجائي ؟ أيكون الجوع قد أوقع اليأس في فؤاده ، أم لعل شيئاً ما قد روتّه في الظلام ؟ ومن يدري ، لعل الخوف ساوره فجأة . ولكنه كان من قبل هادئاً مكيناً ، ولقد بدا بالغ الجراءة عظيم الثقة بالنفس . ذلك

أمر عجيب .

وقال :

- « من الخبر ان تكون انت ، ايها الرجل العجوز ، جريئاً واثقاً من نفسك . لقد أسكتَ بزمامه من جديد ولكنك لا تستطيع أن تسرد ما فقدته من خيوط . وعلى أية حال ، فلا ريب في انه سوف يموتَ عما قليل . »

وأخذ الشيخ بقباض السمكة ، بكسل من يده اليسرى ومنكبّه . ثم انحنى وغرف شيئاً من الماء بيده اليمنى لكي يزيل لحم الدلفين المسحوق عن وجهه . لقد كان يخشى أن تصيبه رائحة ذلك اللحم بالغثبان ، وعندئذ يقيء ويفقد قوته . حتى اذا نظف وجهه وضع يده في الماء المالح ، وتركها هناك برهة ، وانشأ يراقب طلّاع الضوء الوافد بين يدي الشروق . وفكر قائلاً : انه يتجه الآن نحو الشرق تقريباً . وهذا يعني انه متعب وانه يجري مع التيار . ولن ينقضي طويل وقت حتى يشرع في الدوران . وعندئذ يبدأ عملنا الحقيقي !

وبعد ان قدر أن يده اليمنى لبثت في الماء مدة كافية اخرجها ونظر اليها .
وقال :

- « إنها في حال لا بأس بها . وليس الألم مما يبالي به الرجال . »

وأمسك بالخيط في احتراس كي لا يتزلزل في أي من جراحاته الجديدة ، وأزاح حمله بحيث يتمكن من أن يضع يده اليسرى في الماء ، من جانب القارب الآخر .

وقال مخاطباً يده اليسرى :

— أنتِ لم تختلي هذا البلاء كله من أجل شيء
لا غناء فيه . ولكن لقد غبرت لحظة تفقدتك فيها فلم
أجدك !

وفكر : لم لم أولد بيدين قويتين ؟ لعل الذنب ذنبي لأنني
لم امرن تلك البد الواهنة تمريناً كافياً . ولكن الله يشهد ان
مجالات التعلم كانت رحبة امامها . وعلى اية حال ، فلقد أبلت
بلاء حسناً ، هذه الليلة . وهي لم يصبها التشنج إلا مرة واحدة .
واذا ما تشنجت مرة اخرى فلسوف ادع الخيط يحترها من غير
ان ابدي حراكاً .

وحين خطر له ذلك أدرك انه لم يعد صافي الرأس ،
وأن عليه أن يعضغ مزيداً من لحم الدلفين . ولكني لا
استطيع — كذلك قال في ذات نفسه . فلأن تشنعر وكان
الدوار يعصف برأسك خير من أن تنفذ قوتك بالغثيان .
وأنا أدري اني لن اقدر على ابتلاع هذا اللحم بعد ان
امتزج به وجهي . من أجل ذلك سأحتفظ به للطوارئ ،
حتى يصيبه الفساد . ولكن لقد فاني القطار الآن ، فأنا
لا استطيع ان اعوض قواي من طريق الطعام . أنت أحق —
كذلك قال بينه وبين نفسه . كل السمكة الطائرة
ال اخرى .

كانت هناك منظفة جاهزة . فتناولها بيده اليسرى وأكلها
ماضغاً العظم في احتراس ، ملتهماً كل ما فيها ، من الرأس
إلى الذنب .

وفكر : إنها احفل بالغذاء من سائر الاسماك تقريباً . الغذاء

الذي أحتاج اليه أنا ، على الأقل . والآن ، لقد عملتُ الذي
أستطيعه . فليبدأ في دورانه ، ولنفتتح المعركة .
وأشرقت الشمس على الشيخ وعلى قاربه للمرة الثالثة عندما
أخذ السيف في التحويم .

ولم يستطع ان يستدل من انحراف الخيط ان السمكة نحوّم .
فقد كان مثل ذلك الاستدلال سابقاً لأوانه في تلك اللحظة .
كل ما أحسّ به تراخٍ طفيف في ضغط الخيط ، فأنشأ يجذبه
في رفق بيده اليمنى . وتوتر الخيط ، كعهده من قبل ، ولكنه
ما إن كاد يبلغ نقطة الانقصاص حتى غدا سلساً سهل القياد .
وأزلّ الشيخ الحبلَ فوق كتفيه ورأسه ، وطفق يشدّه في تودة
واطراد . كان يصطنع كلتا يديه ، في حركة متأرجحة ذات
اليمين وذات الشمال ، محاولاً ان يحمّل جسده وقدميه أكبر قسط
ممكّن من مهمة الجذب . واتّبع رجلاه الهرمتان وكتفاه الباليتان
حركة يديه المتأرجحة .

وقال :

— « انها دورة ضخمة جداً . ولكنه يدور . »

وهنا أبى الخيط ان ينقاد ، فأطبق الشيخ يده عليه في إحكام
حتى لقد رأى قطرات الماء تتوالب منه تحت اشعة الشمس . ثم
أخذ يكرّ ، فركع الشيخ آسفاً ، وتركه يغوص في المياه
المظلمة .

وقال :

— « هو ذا في أوج دورانه الآن . »

ثم فكّر : ينبغي أن أتشبّث بالخيط ما استطعت . فلا
ريب في أن الاجتهاد سوف يضيّق نطاق دورانه مرة

بعد مرة . ولعلي ان اوفتق بعد ساعة الى رؤيته . يجب أن انتصر عليه الآن ، وبعد ذلك يتمن علي أن أقتله .
لكن السمكة اقامت على التحويم ، في أناة . وبعد ساعتين تندى جسد الشيخ كله بالعرق ، ونفذ الاعياء الى عظامه .
ولكن دورات السمكة تقاصرت تقاصراً كبيراً ، ومن كيفية مَبَلان الخيط أدرك الشيخ انها ترتفع باطراد فيما هي تسبح .

وطوال ساعة ، تراقصت البقع السوداء أمام ناظري الشيخ . وأحرق العرق المالح عينيه ، وأحرق الجرح الذي فوق عينيه وعلى جبهته . ولم يجزع للبقع السود . فقد كانت ظاهرة سوية اذا نُظر اليها على ضوء الجهد العظيم الذي أنفقه في جذب الخيط . وأياً ما كان ، فقد استشعر مرتين دواراً ووشك الغماء ، وذلك ما اقلقه حقاً .

وقال :

— « لم يكن في وسعي ان اخذل نفسي وأموت وأنا اصطاد سمكة مثل هذه . أما وقد وُفقت الى ان اقودها على هذا النحو البارع فساعدني ، يا الهي ، وأمدني بالقوة على الاحتمال . اني أعد بأن أتلو صلاتي » « أبانا ، و « السلام عليك يا مريم »
مئة مرة . ولكني لا استطيع ان افعل ذلك الآن ! »

وفكّر : « اعتبر » أنها تليت . سوف أتلوها في ما بعد !
وفجأة انتفض الخيط ، وكان يمسك به بيديه الاثنتين ، انتفاضة هائلة — انتفاضة حادة ، قاسية ، ثقيلة .

وفكّر الشيخ : ان السمكة تطعن قاعدة الصنارة برمحها . لقد كان ذلك امراً محتوماً . فليس في وسعها أن تفعل غير

ذلك . وقد يضطرها هذا الى الوثوب . ولو كان لي أن اختار ،
إذن لآثرتُ لو واصلتُ دورانها . انها مكرهة على الوثوب
لكي تنشق الهواء ، ولكن كل وثبة من وثباتها خليقة بأن توسع
الجرح الذي أحدثه الشص في فكها . وقد ينتهي ذلك بها الى
اطراح الشص والنجاة بنفسها .
وقال :

— « لا تثبي ، أيتها السمكة ، لا تثبي ! »
وطعنت السمكة المعدن عدة مرات اخرى . وكان الشيخ
يرخي الحبل للسمكة كلما هزت رأسها .
وقال في ذات نفسه : يجب ان اوقف ألمانها حيث هو . أما
ألمي أنا فليست أبالي به . في استطاعتي أن أسيطر على أوجاعي .
أما أوجاعها ، فقد تفقدها صوابها .

وبعد برهة كفت السمكة عن ضرب معدن الصنارة ، واستأنفت
الطواف ، في تودة . وراح الشيخ يسترجع الحليط على نحو
موضول . ولكنه استشعر انه على وشك الاغواء ، كرةً اخرى ،
ورفع شيئاً من ماء البحر بيده اليسرى ونضج به رأسه ، ثم رفع
مقداراً آخر ونضج رأسه كرة ثانية وفرك مؤخر عنقه .
وقال :

— « لست أشكو التشنج ، سوف نرتفع السمكة عما قليل ،
وفي استطاعتي ان اثبت . إن من واجبك ان تثبت . فلا تتحدث
عن ذلك ولو مجرد حديث . »

وانحنى مستنداً الى مقدم الزورق ، وأزل الحليط فوق ظهره
كرةً اخرى . وقال في ذات نفسه : سوف استريح الآن
ربما تم دورتها ، ثم انهض حين ترجع ثانية وأستأنف

نشاطي .

كان كل شيء يفرسه بأن يستريح عند مقدم الزورق ويدع السمكة ثم دورتها من غير ان يسترجع شيئاً من الخيط . ولكن ما ان اظهر التوتر ان السمكة قد انجهد نحو الزورق حتى هبّ الشيخ العجوز على قدميه ، واستأنف التأرجح والتمايل والجذب لكي يحتفظ بكل ما كسبه من الخيط .

وفكر : أنا أشدّ تعباً مما كنت في أَمَا وقت مضى .
وها هي ذي الريح التجارية تهبّ . ولكن هذه سوف تعينني على السمكة . أنا في أمسّ الحاجة الى شيء من الهواء المنعش .

— « سوف استريح حتى الجولة الثانية ريثما تقوم بدورتها .
ولقد اخذ النشاط يعاودني . وما هي إلا دورتان أو ثلاث حتى أظهر عليها . »

وكانت قبعته المصنوعة من قش قد دُفعت الى مؤخر رأسه دفعاً بعيداً . واستهلكت السمكة دورةً جديدة . وتوتر الخيط كرةً أخرى فخرّ الشيخ على مقدم القارب .

وفكر قائلاً : هذا دورك في العمل يا عزيزتي . ولكنني سوف اقضي عليك حين تنعطفين .

وكانت مياه البحر قد ارتفعت ارتفاعاً بالغا . ولكنها كانت إحدى نسائم الجو الجميل . وكان هو في حاجة اليها من اجل العودة الى هافانا .

وقال :

— « سوف ادبر الدفة في اتجاه الجنوب والغرب . إن

المرء لا يفضل سبيله في البحر ابداً . وكوبا على كل حال جزيرة طويلة .

وعند الدورة الثالثة ابصر الشيخ سمكة آخر الامر . لقد رآها ، أول ما رآها ، مثل ظل أسود استغرق مروره تحت القارب فترة طويلة من الوقت جعل الشيخ لا يصدق انها على هذا الطول كله .

وقال :

— ولا . إنها لا يمكن ان تكون ضخمة الى هذا

الحد .

ولكنها كانت ضخمة الى هذا الحد . وحين اتمت دورتها الثالثة تلك ، وانبثقت بكاملها ممتدة على مسافة ثلاثين ياردة ابصر الشيخ ذنبها خارجاً من الماء . كان أعلى من شفرة منجل كبير . وكان لونه ازرق شديد الشحوب فوق زرقة الماء الداكنة . وفجأة اختفى الذنب . وفيما كانت السمكة تسبح تحت سطح البحر مباشرة صار في استطاعة الشيخ ان يرى الى حجمها الضخم وإلى العصابات الارجوانية التي تطوق جسدتها . كانت زعنفتها الظهرية ملوية ، وكانت زعانفها الصلرية منشورة على مداها .

وفي تلك الدورة استطاع الشيخ ان يرى عين السيف ، والسُمَيْكَيْنِ الرماديتين السابحتين حوله . كانا ملتصقان احياناً بالسيف وتنفصلان احياناً عنه . وكانا احياناً اخرى تسبحان في ظله آمتين مطمئنتين . وكان طول كل منها يعدو ثلاثة اقدام . وكانت سباحتهما السريعة تذكر بحركة الانقليس المشنبة .

كان الشيخ يتصبب عرقاً ، ولكن بسبب من شيء آخر غير الشمس . ومع كل دورة من دورات السمكة الهادئة المسالمة كان الشيخ يسترجع جزءاً من الخيط ، وقد بات على مثل اليقين من انه سوف يكون في ميسوره ان يطعنها بالحربون بعد دورتين اثنتين .

وبينه وبين نفسه قال : ولكن يجب ان استاقها الى مكان قريب - قريب جداً . وينبغي ان لا أستهدف الرأس . القلب هو الذي يجب عليّ ان أستهدفه .
وقال :

« كن هادئاً وقوياً ، ايها الرجل المعجوز ! »
وفي الدورة التالية برز ظهر السمكة من تحت الماء . ولكنه كان بعيداً عن الزورق بعداً غير يسير . وفي الدورة التي عقبها كان لا يزال على مثل ذلك البعد ، ولكنه كان اكثر ارتفاعاً فوق سطح الماء . وايقن الشيخ بأنه اذا استرد مقداراً اضافياً من الخيط فعندئذ يوفق الى ان يقود السيف حتى حافة الزورق .

وكان قد أعدّ الحربون منذ فترة طويلة ، وكان حبله الرقيق ملتصقاً في سلة مدورة ، وقد شدّ اقصاه الى الوتر القائم في مقدم القارب .

وفي تودة أتمت السمكة دورتها . كانت فاتنة حقاً ، وكان ذنبها هو وحده الذي يتحرك . وجذب الشيخ الخيط بأقصى ما يستطيع ان يجذبه لكي يزيد السمكة قرباً من الزورق . وانقلبت السمكة على جنبها ، لحظة ليس غير ، انقلاباً جزئياً . ثم انها استقامت ، واستهلت دورة جديدة .

وقال الرجل العجوز :

— « لقد حرّكتُها ! لقد حرّكتها اذن ! »

وأحسّ بالدوار يعصف برأسه ، ولكنه واصل جذب الخيط مفرغاً في ذلك كامل قوّته . وبينه وبين نفسه قال : لقد حرّكتُها ، ولعلّي أن أوفّق هذه المرة لأن أسوقها حتى القارب . والآن ، اسحب أيتها اليدان ! تماسكا أيتها الرجلان ! وأنت يا رأسي ، إبقَ الى جانبي ! أنت لم تفارقني في يوم من الأيام . هذه المرة سوف أجريها حتى الزورق .

ولكنه ما ان أخذ يجذب الخيط بأقصى ما يستطيع من قوة بادئاً ذلك قبل أن تقترب السمكة من القارب ، حتى وفق السيف الى أن ينأى ويعرض بجانبه . ثم استقام واتخذ سبيله في البحر .

وقال الرجل العجوز :

— « أيتها السمكة ، إنك سوف نموتين على أية حال . أتريدان أن أموت أنا أيضاً ؟ »

وفكّر : هذه طريقة حقاء لا تؤدي الى شيء . وكان فيه جافاً الى درجة جعلت من المتعلّن عليه أن ينطق بكلمة . ولكنه ما كان قادراً على أن يبلغ الماء . وتابع تفكيره : ينبغي أن أستاقه الى الزورق هذه المرة . أنا لا أستطيع الثبات طويلاً بعد هذا . ثم خاطب نفسه قائلاً : بل في استطاعتك أن تثبت ! في استطاعتك أن تثبت الى آخر الدهر !

وعند الدورة التالية أوشك الشيخ أن يفوز بالسمكة . ولكنها ما لبثت أن استقامت كرةً أخرى ومضت نسبح

في أناة .

وبينه وبين نفسه قال : انك تقتلني أيها السيف ، ولكن لك الحق في ذلك . فأنا لم أشهد عمري كله شيئاً أكبر منك أو أجمل ، أو أرحم ، أو أنبل ، أيها الأخ . هيا اقتلني . فلست أبالي ، بعد ، أينما قتل الآخر .

وفكر قائلاً : يبدو أن رأسك أمسى مشوشاً . يجب أن تحافظ على صفاء رأسك . حافظ على صفاء رأسك واعرف كيف تتحمل بلاءك كإنسان . ثم أردف : أو كسمكة !

وقال في صوت لم يسمعه الا بشق النفس :

« إستعد صفاءك ، أيها الرأس . إستعد صفاءك ! »

ومرتين أخريين ، دار السيف من غير أن يوفق الشيخ الى طعنه .

واستشعر انه على وشك أن يخرق فاقد الوعي ، وخاطب نفسه قائلاً : لست أدري . لست أدري . ولكني سأحاول مرة أخرى .

وحاول مرة أخرى . ولم يكد بقلب السمكة حتى أحس بالدوار يعصف برأسه . وقومت السمكة نفسها ونأت في تودة ملوثة بذنبها الطويل في الهواء .

وأكد الشيخ : سوف احاول مرة أخرى — على الرغم من أن الوهن كان قد غلب على يديه ، ولم يعد في ميسوره ان يبصر الا في لحظات معلودات .

وأعاد الكرة ، فلم يوفّق الى مبتغاه . وأدركه حسّ الاغماء قبل ان يخاطب نفسه : وهكذا فسوف اكرر المحاولة من

واستجمع كل ما بقي من قوته وشجاعته وكبريائه التي تقصّت منذ زمن بعيد وحشدها في وجه السمكة المحتضرة . واقتربت هذه من القارب ، ساحة في رفق ، وقد اوشك انفها ان يمسّ ألواح القارب ، وبدأت تجوز الزورق طويلاً ، عميقة ، عريضة ، فضية ، معصبة بالأرجوان ، لامتناهية .

وطرح الرجل العجوز الحيط ، ووطئه بقدمه ، ورفع الحربون أعلى ما يستطيع أن يرفعه ، وأغمدته بكل قواه مردّة بالقوة الجديدة التي حشدها في تلك اللحظة - في جانب السمكة خلف زعنفه الصدر الكبرى التي علت في الهواء فكان ارتفاعها يضاهي ارتفاع صدر الشيخ . وأحس بحديد الحربون ينفذ في لحم السمكة فانحنى فوقه ودفعه الى ابعد طارحاً ثقل جسده كله عليه .

وكان السمكة استشعرت ديب الموت في اوصالها فارتدت الى الحياة ، ووثبت عالياً من تحت سطح الماء عارضة كامل طولها وعرضها الباذخين وكامل قوتها وجهالها . وبدأت وكأنها معلقة في الهواء فوق الشيخ والقارب . ثم هوت الى اليمّ في طشيش أثار رشاش الماء فوق رأس الشيخ وفوق القارب كله .

وألح الدوار والكلال على الشيخ ، فلم يعد قادراً على ان يرى جيداً . ولكنه حل خيط الحربون وتركه يتزلق في بطنه بين يديه المسلوخي الجلد . حتى اذا عاودته القدرة على الإبصار رأى السيف مستلقياً على ظهره ، وبطنه الفضي ناهداً

الى اعلى . وكان نصل الحريون نائثاً على نحوٍ منحرف ، من
كتف السمكة ، وكانت مياه البحر تصطبغ بلون الدم السائل
من فؤادها . وكان ذلك اللون داكناً بادية الأمر مثل شاطئ
ضحل ، في ذلك البحر الأزرق الذي يزيد عمقه على ميل . ثم
انتشر انتشار السحاب . وكانت السمكة لجينية ساكنة ، وكانت
تطفو مع الأمواج .

وفي تلك الفترات القصيرة التي تمكن خلالها من الابصار
حدّق الشيخ في اهتمام ، ثم لفّ حبل الحريون مرتين
اثنتين حول الوند القائم عند مقدم الزورق ووضع رأسه
بين يديه .

وقال مستنداً الى خشب القيدوم : حافظ على صفاء
رأسك . انا رجل عجوز متعب . ولكني قتلت هذا السيف
الذي هو اخي ، ويتعين عليّ ان اقوم الان بمختلف ضروب
العمل الشاق .

وفكّر : يجب ان أعدّ الحبل والعُرى لكي أجزّ السمكة
الى جانب القارب . وحتى لو كنا اثنين ، وحينئذ القارب لنقلها
عليه ثم افرغناه من الماء لما كان في ميسور القارب ان يحملها .
يجب ان اعدّ الآن كل شيء . ثم أقتادُها وأشدّها بالحبال شداً
محكماً . حتى اذا تمّ لي ذلك أقتُ السارية ، ونشرت الشراع ،
ورجعت الى بيتي .

وشرع يجذب السمكة لكي تصبح في محاذاة القارب ،
ولكي يكون في ميسوره ان يدخل الحبل من خلال خياشيمها
ويخرجه من فمها ثم يشدّ رأسها الى القيدوم . وقال في ذات
نفسه : اريد أن اراها . أن المسها . أن اجسّها . إنها

ثروتي . ولكن ما لهذا أريد أن أجسّها . وتابع حديثه
الباطني : أحسب أنني مسست قلبها حين أغمدت نصل الحربون
في المرة الثانية . إسحبها إلى هنا الآن ، وأحكم وثاقها ،
وأمر انشودة حول ذنبها ، وأنشودة حول وسطها لشدها
إلى القارب .

وقال :

- « هيا إلى العمل ، أيها الرجل المعجوز ! » وتناول جرعة
من الماء ، ثم أردف : « أمامك أعمال شاقة كثيرة يجب أن
تقوم بها بعد أن انتهى القتال إلى غايته . »

ورفع بصره إلى السماء ، ثم خفضه نحو سمكه . لقد تأمل
موقع الشمس في اهتمام . وفكر وقال في ذات نفسه : نحن لم
نعدّ الظهيرة كثيراً . وهما هي ذي الريح التجارية تهبّ .
والجبال ، إنها لم تعدّ ذات غناء ، منذ اليوم . ولكني سوف
أصل ما بينها ، أنا والغلام ، حين أنتهي إلى البيت .
وقال :

- « هيا ، تقدمي أيتها السمكة ! »

ولكن السمكة لم تتقدم . لقد أقامت هناك منمرغة في الماء ،
فاضطر الشيخ إلى أن يسحب القارب إلى ناحتها .

حتى إذا انتهى إليها وارتطم رأسها بمقدّم القارب لم يصدّق
الشيخ عينيه . كانت ضخمة إلى حد بالغ . وفي الحال نزع
جبل الحربون من وتد المقدّم وأمره في خيشوم السمكة مخرجاً
إياه من فكّتها ، وأداره حول رمحها ليُمرّه بعد في خيشومها
الآخر . حتى إذا تمّ له ذلك لف الجبل كرة ثانية حول

رمح السمكة وعقد طرفيه ، وشد السمكة كلها إلى الوند القائم في مقدم القارب . ثم انه قطع ما تبقى من الحبل وارتد إلى مؤخر الزورق لكي يشد الذنب بالطريقة نفسها .

وكان لون السمكة الارجواني الفضي قد حال الآن فضيّاً خالصاً ، وتكشفت العصاب عن مثل لون الذنب البنفسجي الشاحب . وكانت تلك العصاب أعرض من يد المرء وقد نشر أصابعه . أما عين السمكة فبدت نافرة متوحدة مثل مرآيا البريسكوب ، أو مثل قديس في موكب .

وقال الشيخ :

— « لم يكن ثمة وسيلة أخرى لقتلها . »

كان شيء من النشاط قد عاوده بعد جرعة الماء التي تناولها . وصفا رأسه ، وأدرك انه لن يغنى عليه بعد الآن . وفكر : إن وزنه في ما يبدو يزيد على الف وخمسة رطل . ولعله ان يبلغ أكثر من ذلك بكثير . ولنفرض انه قد بقي منه ، بعد انتزاع الزوائد ، ثلثا هذا الرقم ، وان ثمن كل رطل ثلاثون ستاً فكم تبلغ قيمة هذه السمكة ؟

وقال :

— « أحتاج إلى قلم لكي أجري حساب ذلك . ولعلّ رأسي غير صاف إلى هذا الحد . ولكني أظن ان دي ماغيو العظيم سوف يكون فخوراً بي اليوم . أنا لم أشك أيّ نتوء في عظم العقب ، ولكن يديّ ملتهبتان وظهري كذلك . »

وفكر : « ترى أيّ شيء هذا الذي يدعونه نتوءاً في عظم العقب ؟ لعلنا نصاب به من غير أن نشعر . »

وشد السمكة إلى مقدم القارب ومؤخره وإلى مقعد التجديف

الايوسط . كانت بالغة الضخامة حتى لقد نُخيل اليه وكأنه يشد إلى قاربه قارباً أكبر منه بكثير . وقطع جزءاً من الحبل وربط فكّ السمكة الأدنى إلى أنفها لكي لا يفتح فمها فيعوق حركة القارب . ثم إنه أقام السارية . وبالعصا التي كانت له بمثابة المحجن ، نشر الشراع . واتخذ الزورق سبيله في البحر ، واضطجع الشيخ نصف اضطجاع في مؤخر القارب ، وأدار السكان نحو الجنوب الغربي .

ولم يكن في حاجة إلى بوصلة لكي تنبئه أين يقع الجنوب الغربي . كان حسبه أن يستشعر الريح التجارية ويراقب تموجات الشراع . وقال في ذات نفسه : من الأفضل أن أدلي بخيط صغير شدّ اليه شخص على شكل ملعقة لكي أصطاد شيئاً آكله وأبلّ عروقي بنداوته . ولكنه لم يهتدِ إلى الشخص الملعقي ، وكانت ذخيرته من السردين قد فسدت . وهكذا التقط بالمحجن حزمة من عشب « الخليج » الأصفر ثم هزها لكي يسقط أسماك الروبيان الصغيرة العالقة بها فوق ألواح الزورق . وهكذا تساقط ما يزيد على دزينة منها ، وراحت تثب وترفس مثل براغيث البحر . وفصل الشيخ ، بسبابته وإبهامه ، رؤوس السميكات عن أجسادها ، ثم أكلها كلها حتى أصدافيها وأذنايها . كانت ضئيلة جداً ، ولكن ريحها طيب ، وقوتها الغذائية كبيرة .

وكان قد بقي للشيخ في زجاجة الماء ملء كأسين ليس غير . حتى إذا التهم سميكات الروبيان جرع مقدار نصف كأس . وأبحر الزورق على نحو مرضٍ - إذا اعتبر المرء مختلف المواقف والعقبات - وقساده الشيخ ومقبض السكان تحت

ذراعه . كان في ميسوره أن يرى إلى السمكة ، وكان بحسبه أن ينظر إلى يديه ويتحسّس ظهره بمؤخر الزورق لكي يدرك أن ذلك قد وقع فعلاً ، ولم يكن حليماً من الاحلام . ففي فترة ما ، حين اشرفت المعركة على الانتهاء ، وبلغ الاعياء منه كل مبلغ ، خيّل للشيخ أن الامر قد لا يعدو أن يكون مناماً . حتى إذا انطلق السيف من أعماق الماء ، وتدلّى في السماء ، من غير حراك ، قبل أن يسقط في اللجة ، ثبت للشيخ أن ثمة شيئاً عجبياً جداً لا يستطيع هو أن يؤمن به . إنه ما كان قادراً على أن يبصر جيداً ، آنذاك . أما الآن فهو يرى كأحسن ما اعتاد أن يرى .

لا ، إنه لم يرَ ذلك كله في ما يراه النائم ، وها هي ذي السمكة الكبيرة تحت ناظريه ، وها هما يداها وظهره بجراحاتها والتهاباتها . وقال في ذات نفسه : سوف تشفى البدان سريعاً . لقد أنقختهما بالجراح ، ولكن الماء المالح سوف يلام تلك الجراح . إن مياه الخليج ، الحقيقي السوداء هي أعظم دواء في الوجود . وكل ما يتعيّن عليّ الآن هو أن أحفظ بصفاء الرأس . لقد قامت البدان بمهنتهما ، وها نحن نبحر في سهولة ويسر . أجل نحن نبحر ، أنا والسيف ، مثل أخوين ، بعد أن أغلق فمه واستقام ذيله . ثم غام رأسه بعض الشيء ، وشرع يفكر : أهو الذي يفودني ، أم أنا الذي أقوده ؟ لو كنت أقطره خلفي لما كان ثمة شك في المسألة . ولو قد كان هذا السيف منطرحاً في الزورق ، بعد أن زايله جلاله كله ، لما كان ثمة شك أيضاً . ولكنها كانا يُبحران ، وقد شدّ أحدهما إلى الآخر جنباً إلى جنب .

وقال الشيخ في ذات نفسه : فليقطني هو إذا كان ذلك يروق له . أنا لم أفر عليه إلا بالحيل والاساليب غير الشريفة . وهو لم يكن لي قصد إلى إيذائي ، على الإطلاق .

واتخذنا سبيلها الهادىء في البحر . ونقعّ الشيخ يديه في الماء الأجاج ، وحاول أن يحتفظ بصفاء رأسه . وكان يظللها ركاب من الغيوم السامقة ومقدار غير يسير من سحب الطحارير جعل الشيخ يدرك ان الريح سوف تهبّ طوال الليل . ونظر الشيخ إلى السمكة الكبيرة نظراً موصولاً لكسي يوقن أنها حقيقة راهنة ! وكان ذلك قبل أن يهاجمه أول الاقراش .

ولم يكن ذلك القرش هناك ، مصادفة أو اتفاقاً ، ذلك بأنه غادر أعماق الاوفيانوس حين تشكلت سحابة الدم الداكنة ثم تبدّدت نخلل المياه البالغ عمقها ميلاً . وكان قد انطلق في سرعة بالغة ومن غير ما احتراس البتة ، حتى لقد كسر صفحة الماء الازرق . وأعشتهُ أشعة الشمس ، فارتدتْ غائصةً في البحر . ثم انه اهتدى من طريق الشم إلى الاثر الدامي ، وأنشأ يسبح متعقباً الزورق والسمكة .

وكان يضلّ الاثر ، في بعض الاحيان ، ولكنه ما يلبث أن يهتدي اليه ، أو تدلّه أمارة ما عليه ، فينتطلق سابحاً خلف الزورق . كان قرشاً ضخمأ جداً من الضرب المعروف باسم « ماكو » ، وقد أعدّ لبسبح بأسرع مما تسبح أي سمكة من سمكات البحر . كان كل ما فيه جميلاً ، ما عدا

فكّبه . وكان ظهره أزرق كالسمكة السيف ، وكان بطنه
 بلجيبياً ، وجلده جميلاً أملس . وكان أشبه ما يكون بأحد
 أسياف البحر ، لولا فكّاه الضمخان اللذان كانا مطبقين ،
 الآن ، إطباقاً محكماً فيما هو يندفع سابحاً في سرعة ، تحت
 سطح البحر مباشرة ، وقد شقّت الماء زعنفته الظهرية العالية ،
 كشفرة فولاذية ، من غير ان تتذبذب . وفي فمه المطبق ،
 كانت ثمانية صفوف من الاثني عشر المنحرفة ، المرتدة رؤوسها
 نحو الداخل ، ولم تكن مثل الاسنان الهرمية العادية التي لمعظم
 الاقراص ، ولكنها كانت أشبه شيء بأصابع إنسان مُنْشَبّة
 كالبرائن ، وكان طولها يبلغ طول أصابع الشيخ تقريباً ، وكان
 لكل منها - على الجانبين - حافتان قاطعتان كالموسى . وكانت
 أسماك البحر ذات السرعة والقوة البالغتين ، والاسلحة الواقية ،
 تعتبر ان ليس لها عدو غير هذه السمكة . إنها قادرة على أن
 تلتهمها جميعاً .

وتعاضمت سرعة القرش حين استروح عبث الدم الاكثر
 غضاضة . وأنشأت زعنفته الظهرية تشق عباب الماء .
 وحين بَصُرَ الشيخ بتلك السمكة تتقدّم نحوه أدرك أن ذلك
 قرش لا يعرف الخوف سبيلاً إلى قلبه ، وانه خلق به ان
 يفعل كل ما يحلو له على وجه الضبط . وأعدّ الشيخ الحربون
 وأوثق الحبل ، فيما هو يراقب القرش يتقدم . وكان الحبل
 قصيراً بعد ان أعوزه ما اقتطعه منه قبل ذلك لكي يشد وثاق
 السيف .

واستشعر الشيخ النشاط والصحو . وكان ينضج قوة وعزماً ،
 ولكنه كان قليل الامل في النجاح . وفكر قائلاً : هذا الوضع

جيد إلى درجة تجعل استمراره أمراً متعلزاً . وألقى نظرة على
الحكمة الكبيرة فيما راح يراقب تقدم القرش نحو الزورق .
وقال بينه وبين نفسه : كان من الممكن ان يكون هذا حلماً
أيضاً . أنا لا أستطيع ان أحول بينه وبين الهجوم عليّ ، ولكن
لعل أوفق إلى ان اصصره . وفي ذات نفسه قال : أيها القرش ،
لأمتك المبتل !

وانتهى القرش إلى مؤخر الزورق . حتى إذا هاجم السيف
رأى الشيخ فيه المفتوح ، وعينه الغريبتين . وسمع أسنانه تصطك
مطبقة على اللحم الذي يجاوز الذيل مباشرة . وأخرج القرش
رأسه من الماء ، وارتفع ظهره الى سطح البحر . وكان جلد
السيف ولحمه قد شرعا يتمزقان في اللحظة التي طعن فيها الشيخ
رأس القرش بحربونه ، عند تلك النقطة التي تعارض فيها الخط
الممتد ما بين العينين بالخط المرتد من الأنف مباشرة . ولم تكن
هذه ، في الواقع ، غير خطوط وهمية . إذ لم يكن ثمة غير
الرأس الأزرق الضليل المستدق ، والعيون الكبيرتين ، والفكين
الواخزين المفترسين كل شيء . ولكن كان ذلك مستقر الدماغ ،
فطعنه الشيخ هناك . طعنه بيديه اللدائيتين الزلقتين مغمداً حربونه
المطواع بأقصى ما يستطيع من قوة . طعنه من غير أمل ، ولكن
في عزم ، وفي حقد غامر .

وانقلب القرش على جنبه ، فرأى الشيخ ان عينه كانت
خلواً من الحياة . وانقلب على جنبه كرة أخرى لافاً نفسه
بالحبل مرتين . وأدرك الشيخ ان القرش قضى نحبه ، ولكنه
يأبى التسليم بذلك . لقد استلقى على ظهره ، صافعاً بذنبه
الهواء ، مطبقاً أنبابه على الفراغ ، وأنشأ يثير الماء مثل زورق

من زوارق السباق . وازيدت المياه حيث أصابها ذبله . وكان
ثلاثة ارباع جسده فوق سطح الماء عندما توتر الحبل ، وارتعش ،
ثم انقصف . وانطرح القرش ساكناً فوق سطح الماء ، فترة
قصيرة ، ثم غاص إلى الاعماق في اناة بالغة .

وقال الشيخ في صوت عال :

– « لقد التهم نحواً من اربعين رطلاً . »

ثم فكّر : ليس هذا فقط ، بل لقد أخذ حربوني أيضاً ،
والحبل بكامله . وها هي سمكتي يسيل منها الدم كرة أخرى .
ولا بدّ أن تُقبل الآن اقراش أخرى .

ولم يؤانس في نفسه ميلاً إلى النظر إلى السمكة بعد أن بُترت
وشوّهت . فحين نهش القرش لحم السمكة أحس الشيخ وكأنّ
لحمه هو ، هو الذي نُهش .

وبينه وبين نفسه قال : ولكني قتلتُ القرش الذي نهش لحم
سمكتي . وكان اكبرَ الاقراش التي رأيتها في حياتي . والله وحده
يعلم كم قرشٍ أضخم أبصرت عيناى .

وفكّر : كانت الحال أجود من أن تستمرّ . ليت ذلك كله
كان حُلماً ، وليتني لم اصطد هذا السيف . بل ليتني كنت في
سريري فوق الصحف العتيقة .

وقال :

– « ولكن الانسان لم يُخلق للهزيمة . الانسان قد يُدمر
ولكنه لا يُهزم . »

وفكّر : ومع ذلك فأنا آسف لقتلي هذه السمكة . وها قد
أوشكت الاحوال الجوية ان تسوء ، وليس عندي حربون .

إن القرش وحشي وبارع ، قوي وذكي ، ولكني كنت أذكرى منه . ولكن من يدري ؟ لعل كنت أقوى سلاحاً ليس غير .

وقال في صوت عال :

— ولا تفكر ، أيها الرجل المعجوز . أبحر في هذا الاتجاه ، وواجه الأشياء عند حلولها .

وبينه وبين نفسه قال : ولكن يتعين علي أن أفكر . لأن التفكير هو كل ما تبقى لي . اعني التفكير واليسبول . ترى ، ما رأي دي ماغيو الكبير في الطريقة التي طعته بها في الدماغ ؟ وفكر : ولكنها لم تكن شيئاً عظيماً . وكان في مبسور أي رجل أن يفعل مثل ذلك . ولكن هل تظن أن يدي المسلختين كانتا عائقاً كبيراً كنتوء عظم العقب ؟ لست أدري . أنا لم اشكُ الماء في عقبي ، طوال حياتي ، إلا حين وطئت ، وأنا أسبح ، إحدى السمكات المفلطحة فلست عقبي بحماتها . وحتى هذه السمكة شلت رجلي كلها ، وأورثني الماء لا سبيل إلى احتماله .

وقال :

— فكر في شيء يوقع البهجة في فؤادك ، أيها الرجل المعجوز . إن كل دقيقة تقربك خطوات من البيت وانت تبهر الآن في سرعة أعظم بعد أن خسرت أربعين رطلاً من لحم السمكة .

وكان يعرف جيداً ما الذي سيقع حين ينتهي إلى قلب التيار . ولكن لم يكن ثمة ما يُعمل ، الآن .
وقال في صوت عال :

- ه بل ، هناك ما يمكن أن يعمل . في استطاعتي أن اشد
مديتي إلى عقب أحد المجذافين . ه
وكذلك فعل ، ومقبض السكان تحت ذراعه ، والحبل المعدل
لاتجاه الشراع تحت قدمه .
وقال :

- ه والآن ، أنا لا ازال شيخاً كبيراً ، ولكنني لست أعزل
من السلاح . ه

كان النسيم عليلًا . وكان الزورق يبحر في سلامة . ولم
يكن في مستطاع الشيخ أن يرى غير الجزء الاعلى من سمكه .
وعاوده الامل بعض الشيء .

وخاطب نفسه قائلاً : من الحماقة ان يفقد المرء الامل . وإلى
هذا ، فأنا أعتبر ذلك إنمًا . ولكن دع عنك التفكير في الإثم .
إن عندك من الهموم ما لا يبقى مجالاً للتفكير في الإثم . أضف
إلى ذلك اني لا أفهمه على الإطلاق .

أنا لا أفهم الإثم ، ولست واثقاً من انني اؤمن به . ولعله
كان إنمًا ان أقتل السمكة . بل اني لأظنه كذلك ، برغم اني
أقدمت عليه لكي أسد رمقي وأطعم كثيراً من الناس . ولكن
كل شيء يصبح عندئذ إنمًا . لا تفكر في الإثم ، أيها الرجل
المعجوز . لقد فانتك القطار الآن ، وهناك اناس تُدفع اليهم
الاجور لكي يقترفوه . دعهم يفكرون في ذلك . أما
أنت فقد وُلدت صياداً كما وُلدت السمكة لكي تكون
سمكة . القديس بطرس كان صياد سمك ، ووالد دي ماغيو
العظيم كذلك .

ولكنه كان مولماً بالتفكير في جميع الاشياء التي تعنيه .

وإذ لم يكن عنده شيء يقرأه أو راديو يستمع إليه فقد استغرق في التفكير ، وأصرّ على النظر في موضوع الخطيئة . أنت لم تقتل السمكة لأنك تتصور جوعاً ، ولا لمجرد رغبتك في بيعها – كذلك قال في ذات نفسه . لقد قتلتها بسائق الزهو والخيلاء ، ولأنك صياد سمك . لقد أحبيتها حين كانت على قيد الحياة . ولقد أحبيتها بعد ذلك أيضاً . وإذا كنت تحبها فليس من الإثم ان تقتلها . أم أن ذلك أدهى وأمر ؟

وقال في صوت مرتفع :

– « أنت تفكر كثيراً ، أيها الرجل العجوز . »

وحدثته نفسه : ولكنك وجدت متعة في قتل القرش . إنه يعيش على السمك الحي ، مثلك . إنه لا يجيا على الجيف ، وليس مجرد معدة متحركة مثل بعض الأقراش . انه جميل ، ونحيل ، وليس يعرف الخوف من أي شيء .

وصاح الشيخ :

– « لقد قتلته دفاعاً عن النفس . ولقد قتلته في

ضراوة . »

وبينه وبين نفسه قال : وإلى هذا فكل شيء يقتل كل شيء آخر بطريقة ما . إن صيد السمك يفتك بي كما يبقيني على قيد الحياة ، سواء بسواء . والغلام يمدني بالحياة . ينبغي ان لا أخدع نفسي أكثر مما ينبغي .

وانحنى فوق جانب الزورق ، وانترع قطعة من لحم السيف الذي نهشه القرش . ومضغها معجياً بجودتها وحسن مذاقها . كانت خلواً من الالياف ، ولقد أدرك الشيخ انها خليقة بأن تفوز

في السوق بالسعر الاعلى . ولكن لم تكن ثمة وسيلة للحيلولة بين
عبيرها والنفاذ إلى أعماق البحر ، وكان الشيخ يعلم ان ذلك سوف
يجرّ عليه متاعب مزعجة جداً .

وكانت الريح تهب على نحو موصول . لقد ارتدت بعض
الشيء ، كما فعلت من قبل ، إلى الشمال الشرقي ، فعرف الشيخ
من ذلك انها لن تهدأ . وتطلع الرجل العجوز أمامه ، ولكنه لم
يستطع أن يرى شراعاً ما ، أو دخاناً ما ينبعث من أي مركب .
لم يكن ثمة غير السمكات الطائرة التي انطلقت من مقدم زورقه
واتخذت سبيلها ذات اليمين وذات الشمال ، وغير اعشاب
« الخليج » الصفراء . إنه ما كان قادراً على أن يرى عصفوراً
واحداً .

وكان قد أبحر على هذا النحو ساعتين اثنتين ، مستنداً إلى
مؤخر الزورق ، ماضحاً بين الفينة والفينة قطعة من لحم السيف ،
محاولاً أن يستريح ويستعيد قواه ، عندما بتصرّ بأول القرشيين .
وصاح :

— « آي ا »

ولاصيل إلى ترجمة هذه الكلمة . ولعلها مجرد صوت كذلك
الذي يُرسله المرء ، على نحو غير اراديّ ، حين يحس بالمسار
يخترق يده ويغيب في الخشب .

وصاح :

— « غالانوس » Galanos .

لقد رأى الزعنفة الثانية تتقدم خلف الاولى ، فأدرك انه

امام قرشين من ذوات الانف الشبيهة بالمسحاة . وإنما عرف ذلك من الزعنفه السمراء المستطيلة ، ومن حركات الذنب الشبيهة بضربات المكنسة . لقد استروحا دم السيف ، فهاجها ذلك ، ولكن جوعها العظيم اللاحق كان يُضللها الاثر ثم يردّهما اليه من غير انقطاع . ومع ذلك فقد كانا يقتربان من الزورق على نحو موصول .

وأوثق الشيخ الحبل المعدّل لانبجاء الشراع . وثبت مقبض السكّان ، وأمسك بالمجذاف الذي شدّ اليه المديّة . ورفعها بأقصى ما يستطيع من الرفق ، لأن يديه كانتا تتميززان الماء . ثم إنه فتحها وأطبقها على المجذاف ، غير مرة ، وفي أناة ، تلييناً لها . وأخيراً أطبقها في إحكام بالغ لكي ينقث الألم اللاذع ، وأنشأ يراقب القرشين المتدفعين نحو الزورق . لقد رأى رأسيهما العريضين المسطحين الشبيهين بالمسحاة ، وزعانفهما الصدرية العريضة البيضاء الرؤوس . كانا قرشين قذرين ، كريهي الرائحة يعيشان على الجيف أكثر مما يعيشان على الصيد والقنص . وكانا إذا ما استبدّ بهما الجوع خليقين بأن يهجا على مجذاف الزورق أو دفته فيعضّاهما ، وبأن يقطعا أرجل السلاحف وأيديها حين تكون السلاحف نائمة فوق سطح الماء . ليس هذا فحسب ، بل لقد كانا خليقين بأن ينقضّا على الانسان فيطرحاه في الاعماق ، حتى ولو لم تنفع منه رائحة السمك أو رائحة الدم .

وقال الشيخ :

— « آي ، غالانوس ! هيا ، غالانوس ! »

وأقبلا ، ولكنها لم يقبلا كما أقبل القرش الاول — الـ «ماكرو» .

فقد استدار أحدهما وغاب عن العيان تحت القارب . وكان في
 ميسور الشيخ ان يحسّ بالقارب بهترّ فيها هو ينهش السمكة .
 وراقب الآخر ، بعينه الضيقتين الصفراوين ، الرجل المعجوز ،
 ثم انقضّ فجأةً ، فاغر الفكّين ، على السمكة ، فنهشها حيث
 نهشت من قبل . وبدا الخطّ الخياليّ واضحاً من فة رأسه
 الأسمر إلى حيث يتصل الدماغ بالحبل الشوكي . وفي تلك النقطة
 بالذات طعن الشيخ القرش بالمديّة المشدودة إلى المجذاف . ثم انه
 سحبها وأهوى بها من جديد على عيني القرش الصفراوين الشبيهتين
 بأعين الهررة . فما كان من القرش إلا ان خلّى السمكة ، وغار
 في الماء ، مزدرداً ما نهشه منها ، ومات .

وكان القارب ما يزال يرتعد بسبب من هجمات القرش الآخر
 على السمكة . وخلّى الشيخ الحبل المعدّل لاتجاه الشراع لكي
 يدور الزورق بالعرض ، ويخرج القرش من تحته . ولم يكد
 الشيخ يرى إلى القرش حتى انحنى فوق جانب الزورق وطعنه
 بمديّته . ولكنه لم يُصب منه غير لحمه ، بسبب من قساوة
 الجلد على نحو جعل المديّة لا تنفذ إلى جسد القرش إلا بشق
 النفس . ولم تؤلم الطعنة يدي الشيخ وحسب ، بل آلمت
 كتفه أيضاً . ولكن القرش ارتفع في سرعة مطلقاً رأسه من
 الماء . ولم يكد أنف القرش يخرج من الماء ويستقر على
 السمكة حتى طعنه الشيخ في أمّ رأسه المسطح . ثم ان الشيخ
 انتزع المديّة وأغدها في رأس القرش حيث طعنه أول مرة
 ولكن القرش تشبّث بالسمكة ، مطبقاً فكيه على لحمها .
 فطعنه الشيخ في عينه اليسرى . ومع ذلك فقد أبى القرش ان
 يترحّض .

وقال الرجل المعجوز :

— « ألا يكفيك هذا ؟ »

وأغمد المدينة بين الفقار والدماغ ، فشقت طريقها في سهولة ويسر . وأحسن بالفضروف ينفطر . وقلب المجذاف وغيب النصل بين فكتي القرش لكي يفتحها . ثم أدار النصل حول نفسه عدة مرات . حتى إذا خلى القرش السمكة وغار في الماء قال الشيخ :

— « أغرب من هنا . غص إلى عمق ميل كامل . إذهب والقي صديقك ، ومن يلدي ؟ فقلعها أمك . »

ومسح الشيخ شفرة مديته ، ووضع المجذاف جانباً . ثم انه أمسك بالخيط المعدل لاتجاه الشراع ، فانتفخ الشراع ، واستقام الزورق في طريقه السوي .

وقال في صوت عال :

— « لقد أكلت الاقراش نصف السمكة على الأقل ، — الربع الذي يضم أحسن لحمها . ليت ذلك كان حلماً ، وليني لم أوقع هذا السيف في شركي ! ان هذا يحزنني أينما السمكة . إنه يفسد كل ما عملته . »

وصمت ، ولم يعد راغباً في النظر إلى السمكة . كانت دماؤها قد استترفت ، وكان الماء يغسلها من أقطارها فهي تبدو في مثل لون الفضة التي تطل بها ظهور المرايا . وكانت العصاب التي تطوقها ما تزال بادية للعيان .

ثم قال :

— « ما كان ينبغي لي ان أذهب إلى هذا الحد ، أينما السمكة . ان ذلك لم يكن لا في مصلحتي ولا في مصلحتك . »

أنا آسف ، أيتها السمكة !

وخاطب نفسه قائلاً : والآن ، ألق نظرة على وثاق المدينة
لتستيقن انه لم ينقطع . ثم أول يدبك بعض الاهتمام لأن ثمة
أقراشاً أخرى تُقبل من غير ريب .

وقال بعد أن فحص الوثاق الذي يشدّ المدينة إلى عقب
المجذاف :

– « لشدّ ما أتمنى لو كان عندي حجر أشحد عليه المدينة .

كان ينبغي ان آتي بحجر . »

وفكّر : كان ينبغي عليك ان تأتي بأشياء كثيرة ، ولكنك
لم تأت بها أبداً الرجل المعجوز . وليس هذا هو وقت التفكير
في ما يعوزك . فكّر في الذي تستطيع أن تفعله بما في حوزتك
من أسباب .

وقال في صوت عال :

– « أوه ، كفّ عن إساءة هذه النصائح إليّ . لقد مللت

ذلك . »

ووضع مقبض السّكان تحت ذراعه وغمس كلتا يديه في الماء
بينما كان القارب يمضي في سبيله .

وقال :

– « الله وحده يعلم كم انتزع القرش الأخير من لحم السمكة

ولكنها أمست أخفّ من ذي قبل بكثير . »

ولم يكن راغباً في أن يفكر في التشويه الذي أصاب الجزء
الأدنى من السمكة . فقد عرف ان كل زلزلة أثارها القرش
كانت تعني قطعة من لحم السيف تُنهشُ وتردد ، وان
السيف قد ترك لجميع أقراش البحر أثراً لاجباً كالجادة بشقّ

وقال في ذات نفسه : هذه السمكة تستطيع ان تملأ جوف الانسان طوال الشتاء . ولكن دع عنك التفكير في ذلك . كل ما عليك أن تعمله هو أن تستريح ، وان تحاول إعداد يدبك للدفاع عما تبقى من السمكة . إن رائحة الدم المنبعث من يدي ليست شيئاً بالقياس إلى هذه الرائحة التي تفوح من الماء . وإلى هذا ، فان الدم ما عاد يسيل منها كثيراً . وليس ثمة جرح واحد ذو خطر . وجريان الدم قد بقي اليد اليسرى من التشنج .

وفكر : ما الذي أستطيع أن أفكر فيه الآن ؟ لا شيء . يجب ان لا أفكر في شيء ، وان انتظر الاقراش التالية . لشد ما أتمنى لو كان حلاً حقاً ! ولكن من يدري ؟ فقد كان من الممكن ان يسفر عن نتيجة حسنة .

وكان القرش التالي مفرداً . وكان ذا رأس عريض شبيه بالمسحاة . واقتضى على فريسته كما ينقض خنزير على مذوده لو كان للخنزير شلق عريض يمكنك أن تضع رأسك فيه . وتركه الشيخ ينهش لحم السمكة ثم غيَّب مديته المشدودة إلى المجذاف في دماغه . ولكن القرش ارتد إلى الوراء وهو يعاني سكرات الموت فانكسر فصل المذبة .

وانصرف الشيخ إلى ادارة السكان . إنه لم يلق ولو نظرة واحدة على القرش الضخم الذي راح يغوص في الماء ، وقد بدا في حجمه الطبيعي ، بادىء الامر ، ليغدو بعد صغيراً فضيلاً . كان ذلك المشهد يفتن الشيخ دائماً ، ولكنه لم يبال به ، الآن ، البتة .

وقال :

- « لم يبق عندي غير المحجن . ولكنه لن يكون ذا غناء . وعندى المجذافان ، ومقبض السكان ، والمراوة القصيرة . »

وخاطب نفسه : الآن غلبت . أنا أعلى سناً من ان اقرع الاقراش ؛ بالمراوة ، حتى الموت . ولكني سوف أكافح ما دام عندي المجذافان ، والمراوة الصغيرة ، ومقبض السكان . ووضع يديه في الماء ، كرة أخرى ، لكي ينقعها . وكان الاصيل يؤذن بالانقضاء . ولم تقع عينا الشيخ على شيء ، غير الماء والسماء . وهبت الريح ، وصار في ميسوره أن يعلل النفس برؤية اليابسة عما قليل .

وقال :

- « انت متعب أيها الرجل العجوز ! أنت متعب حتى العظم ! » ولم تهاجمه الاقراش كرة أخرى إلا بعد ان جنحت الشمس إلى المغرب .

وبصر الشيخ بزعتين سمراوين تتخذان سبيلهما عبر الأثر العريض الذي تركته السمكة في الماء . ومن عجب ان هذين القرشين لم يضربا في البحر التماساً للراحة . بل انطلقا نحو القارب مباشرة ، ساجدين جنباً إلى جنب .

وثبت الشيخ مقبض السكان . وأوثق جبل الشراع ، وانتزع المراوة من تحت مؤخر الزورق . وكانت عبارة عن مقبض مجذاف مكسور نُشر حتى أمسى طوله نحواً من قدمين ونصف . ولم يكن بقادر على أن يصطنعها في فعالية إلا إذا

أمسكها بيد واحدة ، بسبب من شكل ممسكها . وفي حرم ،
أطبق الشيخ يده اليمنى عليها ، وانحنى فوقها وأنشأ يراقب
اندفاع القرشين . كانا كلاهما من نوع غالانوس .

وخاطب نفسه : يجب ان أدع اولها ينشب أنيابه في السمكة
ثم أضربه على أنفه أو عبر قرة رأسه .

واندفع القرشان نحو السمكة ، في آن معاً . حتى إذا رأى
أقربهما يفتح فكّيه وبطبقهما على بطن السمكة القضي ، رفع
المرأوة عالياً ثم أهوى بها ثقيلةً صاخبةً على أمّ رأس القرش
العريض . وواجهت المرأوة ضرباً من المقاومة المطاطية
المرنة ، ولكن الشيخ أحسّ في الوقت نفسه بصلابة العظم .
وفيما القرش ينأى عن السمكة ، ضربه الشيخ كرةً أخرى
على أنفه .

وكان القرش الآخر قد انقضّ على السمكة وارتدّ عنها
مرات عديدة ، وكان قد انقلب إليها الآن واسع الشدقين . لقد
رأى الشيخ إلى قطع اللحم - لحم السمكة - تسيل بيضاء من
زاوية فمه فيما هو ينقضّ على السمكة وينشب أنيابه فيها .
ورفع الشيخ المرأوة وأهوى بها عليه ، ولكنه لم يصب غير
رأسه . ونظر إليه القرش . وانتزع قطعة اللحم التي كان قد
قطعها . وأهوى الشيخ بهراوته عليه فيما كان ينسلّ ليلتلع تلك
القطعة ، ولكنه لم يصب هذه المرة أيضاً غير الطبقة المطاطية
الكثيفة من الرأس .

وقال الرجل العجوز :

— « تعال أبها القرش ! تعال مرةً أخرى ! »

وأقبل القرش في اندفاعه ، فاستقبله الشيخ بهراوته حين

أطبق فكّيه . لقد رفع المراوة أعلى ما يستطيع أن يرفعها وأهوى بها قويةً قاضية . وهذه المرة استشعر الشيخ انه أصاب العظم عند مستقرّ الدماغ . ثم سدد إلى ذلك الموضع عينه ضربةً أخرى ، فبما انتزع القرشُ الحدرِ قطعة اللحم ونأى عن السمكة .

وقال الشيخ في ذات نفسه : قد يعود . ولكن أياً من القرشين لم يبرز للعيان . ثم رأى واحداً يحوم فوق سطح الماء . ولم يرَ زعنفه الآخر .

وفكّر : لم يكن في وسعي أن أتوقع قتلها . فقد تغير الحال الآن . ولكني أصبتها كليها إصابة خطيرة . ولن يستشعر أيّ منها نشاطاً منذ اليوم . ولو قد كان في إمكانني أن أضربهما بكنتا يديّ بأحد التبايت إذن لقتلت أولهما من غير ريب ، حتى في هذه اللحظة — كذلك قال في ذات نفسه .

ولم يرغب في النظر إلى السمكة . لقد عرف ان الاقراش قد التهمت نصفها . وكانت الشمس قد جنحت إلى الغروب فيها هو منهمك في قتال القرشين . وقال :

— « سوف يهبط الليل وشيكاً . وعندئذ لا بُدّ ان أرى أضواء هافانا . وإذا كنتُ قد أوغلت في المضي نحو الشرق فسوف أرى أضواء شاطيء من الشواطئ الجديدة . »

وفكّر : ينبغي ان لا اوغل في الابتعاد عن الشاطيء منذ اليوم . وأرجو ان لا يقلقوا عليّ هناك . إن الغلام وحده هو الذي سوف يقلق عليّ ، طبعاً . ولكني واثق

من انه لن يقطع الرجاء . وكثير من الصيادين الشيوخ
سوف يقلقون . وكثيرٌ غيرهم أيضاً . أنا أحيأ في بلدة طيبة .
ولم يعد في ميسوره ان يخاطب السمكة بعد الآن لأن السمكة
كانت قد شُوِّهت تشويهاً فظيماً . وفجأةً ، طافت
برأسه فكرة .

وقال :

— « يا بقية من سمكة ! يا سمكة كُنْتِها ! أنا آسف
لإيغالي في الابتعاد عن الشاطئ . لقد حطمتني ذلك وحطمتك .
ولكننا قتلنا كثيراً من الاقراش . انا وأنت ، ودمرنا كثيراً منها .
كم قرشاً قتلت في حياتك ابنتها السمكة العجوز ؟ انت لم تحملي
ذلك الرمح على رأسك لغير ما سبب ! »

وأحب أن يفكر في السمكة وفي ما تستطيع ان تفعله بأحد
الاقراش لو كانت تسبح في حرية . وفكر : كان ينبغي أن
اقتطع رمحها ذاك وأحارب الاقراش به . ولكن لم يكن ثمة فأس ،
وكنت قد فقدت مدينتي .

آه لو استطعت ان أفعل ذلك ! آه لو استطعت ان اثبتته
إلى عقب احد المجذافين ! أي سلاح هائل كنت خليقاً بأن
افوز به ! وإذن لكنا جديرين ، أنا وأنت ، بأن نقاتلهم معاً .
ما الذي سوف تفعلينه الآن إذا اقبلوا في الليل ؟ ما الذي تستطيعين
أن تفعليه ؟

وقال :

— « القتال ! سوف اقاتلهم حتى الموت ! »
وإذ غمره الظلام ، ولم تقع عينه على إيما وهج ولا أضواء ،
وإذ أسمى متوحداً لا رفيق له غير الريح وغير اندفاعه الشرع

المطرده ؛ استشعر وكأنه قد أسلم الروح . وشبك يديه ، وجسّ راحتيهما ، فاذا هما غير خديرتين على الإطلاق . ولم يكن محتاجاً ، لكي يُجري الحياة فيها ، إلى أكثر من فتحها وإغلاقها على نحو موصول . وأسند ظهره إلى مؤخر القارب ، وأدرك انه ليس ميتاً . لقد أنبأته بذلك كفافه .

وفكّر : هناك جميع تلك الصلوات التي وعدتُ بتلاوتها إذا ما فزت بالسكة . ولكني من الاعياء بمحلّ لا يمكنني من ان اتلوها الآن . من الأفضل ان آتي بالكيس وأضعه فوق منكمي .

واستلقى في مؤخر القارب نصف استلقاء ، وأمسك بالسكان ، وأنشأ يراقب الافق عله يقع على طلائع الضوء . وقال في ذات نفسه : لقد بقي من السكة نصفها ، فعسى ان يكون من حظي ان أبلغ به شاطئ السلامة . انا استحق شيئاً من الحظ . ثم أردف في الحال : لا . لقد انتهكت حرمة حظك حين اوغلت في الابتعاد عن الشاطئ هذا الإيغال كله .

وقال في صوت عال :

— لا تكن أحمقاً ! حاذِرْ ان تستسلم للنعاس ، وأدِر السكان . فقد محالفك الحظ بعد قليل .

وفكّر : أود لو اشتري شيئاً من لحمها إذا ما عرضوها للبيع في مكان ما .

وسأل نفسه : ولكن بمّ اشتري تلك القطعة من لحمها ؟ هل أستطيع ان اشترىها بحربون ضائع ، ومديّة مكسورة ، وبدين واهتين ؟

وقال في ذات نفسه : ولم لا ؟ لقد حاولت ان تشتريها بأربعة وثمانين يوماً قضيتها في عرض البحر . بل لقد كادوا يبيعونها لك ايضاً .

وفكر : يجب ان لا افكر في هذا المراء : الحظ شيء يأتي في صور متعددة . ومن ذا الذي يستطيع أن يتبينه ؟ وعلى أية حال ، فاذا ما جاءني الحظ ، في صورة ما ، فسوف أفعل كل ما "يطلب الي" فعله . انا اتحنى اشياء كثيرة جداً . ولكن هذا هو الشيء الذي أتمناه الآن . وحاول أن يتخذ وضعاً يمكنه من ادارة السكان على نحو أدعى إلى الراحة . وكان في الألم الذي أورثته إياه هذه الحركة ما اكده له انه ليس بميت .

وحوالى الساعة العاشرة ليلاً ، في اغلب الظن ، بصُرَّ بهالة الانوار المنعكسة من المدينة على صفحة الماء . وكانت أول امرها اشبه شيء بذلك الضوء الباهت الذي يتشر في السماء قبل بزوغ القمر . ثم انتهت الى ان تصبح ثاقبة تخترق وجه المحيط الذي طفقت امواجه تتلاطم بعد ان اشتدت الريح . وقاد الشيخ زورقه ضمن نطاق الهالة . وقدّر انه سوف يبلغ حاشية التيار في وقت قريب .

وقال في ذات نفسه : انتهى الآن كل شيء . وأغلب الظن ان الاقراض سوف تهاجمني من جديد . ولكن أي شيء يستطيع المراء ان يفعله بها ، في غمرة الظلام ، وهو اعزل من السلاح ؟

كان متصلب الاوصال ، مغيظاً . وكان يرد الليل قد اثار كل جراحات جسده المرهق وآلامه . وخاطب نفسه قائلاً :

ارجو ان لا أضطر الى استئناف القتال . ارجو من شغاف قلبي
ان لا أضطر الى استئناف القتال ا

ولكن ما ان انتصف الليل حتى خاض غمار معركة
أخرى . وأدرك الشيخ ان القتال هذه المرة عبث لا طائل
تحتة . فقد اندفع نحوه من الاقراش قطعاً كامل ، ولم يكن في
ميسوره ان يرى غير الخطوط التي احدثتها زعانف الاقراش في
الماء وغير تألقها الفوسفوري وهي تنقض على السمكة . وانها
الشيخ على رؤوس الاقراش ضرباً ، وسمع فكوكها تطبق
مدوية ، وأحس بالقارب يتأرجح فوق ظهورها . وناضل الشيخ ،
في يأس ، ضد أعداء لم يكن قادراً على ان يراها ، ولكنه يحس
بها ويسمعا . وفجأة استشعر شيئاً ينتزع المراوة ، فضاعت
من يديه .

وهنا نثر الشيخ مقبض السكان وراح يضرب به الاقراش ،
رافعاً اياه بكلتا يديه ، مهوياً به مرة بعد مرة . ولكن
الاقراش كانت قد انتهت الى القيدوم ، فهي تنقض على
السمكة وحداناً وزرافات ، وتنهش اجزاء من لحمها كانت
تراها تتوهج تحت الماء وهي ترتد منقضة على السمكة من
جديد .

وأخيراً انقضت احد الاقراش على رأس السمكة نفسها . وأدرك
الشيخ ان كل شيء قد انتهى . فرفع مقبض السكان وأهوى
به على رأس القرش ، وكانت كثافة رأس السمكة قد استعصت
على فككي القرش فهو لا يستطيع انتزاع شيء منه . وعاد
الشيخ ضرب القرش مرةً ومرةً ومرةً . وانكسر مقبض السكان .
فواصل ضرب القرش بعقب المقبض المكسور . وأحس بها

العقب ينفذ الى رأس القرش ، فأدرك أنه حادّ فعاود ضرب القرش به . وعندئذ نأى القرش وأعرض بجانبه ، وتلوّى في سكرة الموت . وكان ذلك آخر قرش انقضّ على السمكة من اقراش القطيع . اذ لم يبق من تلك السمكة ما تستطيع الاقراش ان تأكله .

كان الشيخ يلهث لهائاً شديداً ، وكان مذاق غريب يملأ فيه . انه مذاق نحاسيّ وحلو . ولقد خافه الشيخ بادئ الأمر ، ولكنه لم يكن قوياً ذا خطر .

وبصق الشيخ في المحيط وقال :

— « كلوا هذا ، ايها الاقراش ، واحلموا انكم قتلتم رجلاً ! »

لقد أدرك الآن انه هُزم هزيمة نهائية لن تقوم له بعدها قائمة . فانقلب الى مؤخر القارب فوجد ان طرف المقبض المثلوم يلج في تجويف السكان على نحو يمكنه من قيادة الزورق . ثم انه طوّق كتفيه بالكيس واتخذ سبيله نحو اليابسة . لقد غدا القارب خفيفاً رشيق الحركة ، ولم تراود الشيخ ابداً فكرة ، او يخالجه ابداً شعور . لقد تخطى الآن كل شيء ، فهو لا يفكر الاّ في شيء واحد : ان يبلغ الشاطئ على خير وجه يستطيعه وأذكاه . وفي موهن من الليل كانت الاقراش تنقضّ على هيكल السمكة العظمي كما يتهافت الفقراء على بقايا المائدة . ولم يبال الشيخ بهم . انه لم يبال بشيء غير ادارة السكان . بيد انه لاحظ رشاقة القارب وسرعته بعد ان تخفف من معظم الحمل الذي كان يشغل خطاه . وقال في ذات نفسه : انه ما زال سليماً . ولم يُصب أي شيء فيه

بسوء ، باستثناء مقبض السكان . ومن اليسير عليّ ان استبدل
به غيره .

وأحسنّ انه انتهى ، الآن ، الى مجرى النيار ، وصار في
ميسوره ان يرى الى اضواء الشواطىء المتناثرة على طول الساحل .
لقد عرف أين هو الآن ، ولم يعد الوصول الى البيت أمراً
عسيراً .

وخاطب نفسه : الريح صديقتنا على اية حال . ثم اردف :
اعني في بعض الاحيان . وكذلك البحر الكبير بما فيه من
اصدقاء لنا وأعداء . وفكّر : والسريّر ايضاً . السريّر صديقي .
لا شيء غير السريّر . لا ريب في ان الاستلقاء عليه شيء
عظيم . وقال في ذات نفسه : لشدّ ما تبدو الاشياء سهلة
حين يُهزم المرء . انا ما كنت احسب ، في يوم من
الأيام ، انها سهلة الى هذا الحد . ولكن ما الذي انتهى بك
الى الهزيمة ؟

وأجاب في صوت عالٍ :

— « لا شيء . كل ما في الأمر اني امعنت في الابتعاد
عن الشاطئ . »

حتى اذا دخل المرفأ الصغير كانت اضواء « السطليحة »
مطفأة ، فأدرك ان القوم قد آووا الى مضاجعهم . وكانت
الريح قد هبت رُخاء ، بادىء الأمر ، ثم اخذت في
لاشتداد فهي الآن قوية عاصفة . ومع ذلك فقد كان السكون
يُنجِم على المرفأ ، فتقدّم بقاربه حتى يجتمع الالواح الخشبية
تحت الصخور . ولم يكن ثمة من يساعده فدفع القارب الى
أبعد ما استطاع ان يدفعه . ثم غادره وشده الى احدى

الصخور . ونزع السارية ، وطوى الشراع وأوثقه بها . ثم انه تنكب . السارية ، وشرع يصعد الى الشاطئ . وفي تلك اللحظة فقط ادرك مبلغ الاعياء الذي استبد به . ووقف لحظة . والتفت الى وراء فرأى ذنب السمكة الكبير - على ضوء مصباح الشارع - وقد ارتفع الى ما فوق مقدم الزورق بكثير . وبصر بعمودها الفقري وكأنه خيط ابيض عابر ، وبكتلة الرأس الداكنة ، وبالرمح النائم ، وبذلك العري المترامي ما بين رأس السمكة وذنبها .

وواصل تصعيده . حتى اذا بلغ القمة سقط وظل منطرحاً على الارض ، برهة من الزمن ، والسارية معرضة كفه . وحاول ان ينهض ، ولكنه اخفق ، فلبث هناك والسارية على كتفه ، وانشأ ينظر الى الطريق . وفي الجانب الآخر مرت مرة نسي في مناكبها . وراقبها الرجل العجوز ، ثم اجتراً بمراقبة الطريق .

وأخيراً أنزل السارية عن منكبه ونهض . ثم رفع السارية وتنكبها واستأنف السير . ولقد اضطر الى ان يقعد خمس مرات على الارض قبل ان يبلغ كوخه .

حتى اذا انتهى اليه اسند السارية الى الجدار . وفي غمرة الظلام التمس زجاجة مساء ، وشرب جرعة . ثم استلقى على السرير رافعاً البطانية حتى كتفيه ، وسواها حول قدميه وظهره . ونام على وجهه فوق الصحف القديمة ، ويداه منشورتان الى أعلى وراحته تواجهان السقف .

وكان نائماً حين اطل الغلام ، صباح اليوم التالي ، من
• تنكب الكنافة أو القوس : ألغاه على منكبه .

شق الباب . كانت الريح عاصفةً الى حد جعل من المتعذر على المراكب ان تغادر الشاطئ . وهكذا استرسل الغلام في نومه ذلك اليوم ، ثم اقبل على كوخ الرجل العجوز ، فعُله كل صباح . وفي الحال انحنى الغلام فوق الشبخ لكي يستيقن انه ما يزال يتنفس . ثم انه رأى يدي الرجل العجوز وأنشأ ينشج . وسارع الى مفادرة الكوخ ، في هدوء كثير ، ليحمل اليه شيئاً من القهوة . وطوال الطريق كانت الدموع تتحدر على خديه .

وكان كثير من الصيادين قد احتشدوا حول القارب وراحوا ينظرون الى ما كان مشهوداً الى جانبه . وكان واحد منهم قد خوض في الماء ، راداً بنظلوله الى أعلى ، وأخذ يقيس طول السمكة بحبل .

ولم يمس الغلام حتى ذلك المكان . لقد قصد الى هناك من قبل ، وكان قد عهد الى احد الصيادين في حراسة القارب .

وصاح احد الصيادين :

« كيف حاله ؟ »

فأجابه الغلام صائحاً :

« إنه نائم . » ولم يبال الغلام ان يلاحظ الصيادون

دموعه . « ارجو ان لا يزعجه احد . »

وصاح الصياد الذي كان يقيس طول السمكة :

« كان طولها ثمانية عشر قدماً من الانف حتى الذنب . »

فقال الغلام :

« انا لا استغرب ذلك . »

ومضى الى « السطحة » وطلب ملء صفيحة من القهوة .

— « لتكن ساخنة » وافرة الحليب والسكر . »

— « هل تريد شيئاً آخر ؟ »

— « لا . سوف ارى بعد ذلك ما الذي يستطيع ان

يأكله . »

وقال صاحب « السطحة » :

— « لقد كانت سمكة عظيمة حقاً ! ان احداً لم يرَ

مثلها من قبل . وأنت ايضاً ، اصطدتَ امسَ سمكتين

رائعتين . »

فقال الغلام :

— « لست ابالي بذلك ! » وأنشأ يتحب من جديد .

وسأله صاحب المقهى :

— « الا تريد ان تشرب شيئاً ؟ »

فقال الغلام :

— « لا . قل لهم ان لا يزعموا سانتياغو . سوف ارجع

بعد قليل . »

— « إحمل اليه شديد تأثيري لما اصابه . »

فقال الغلام :

— « شكراً »

ومضى الغلام بصفيحة القهوة الساخنة الى كوخ الشيخ ،

وقعد الى جانبه حتى أفاق . وبدا الشيخ مرة وكأنه استيقظ ،

ولكنه ما لبث ان غرق في نوم عميق . وهنا اجتاز الغلام الطريق

لكي يستعر بعض الخشب يسخن به القهوة .

وأخيراً أفاق الرجل العجوز . فقال الغلام :

- « إبنَ حيث انت . إشرب هذا » . وصبّ شيئاً من القهوة في قدح .
- وتناول الشيخ القدح وشرب ما فيه .
- وقال :
- « لقد هزموني يا مانولين . لقد هزموني حقاً : »
- « ليست هي التي هزمتك ، على كل حال . ليست السمكة . »
- « لا . هذا صحيح . لقد هُزمتُ في ما بعد . »
- « بيدريكو يحرس القارب والعدّة . ما الذي تريد ان تفعله بالرأس . »
- « دع بيدريكو يقطّعه إرباً إرباً ويستعمله في أشراك الصيد . »
- « والرمح ؟ »
- « إحتفظ به اذا شئت . »
- « يسعدني ذلك . والآن ، ينبغي ان ننضاهم على سائر الاشياء . »
- « هل بحثوا عني ؟ »
- « طبعاً بواسطة حرس السواحل وبالطائرات . »
- فقال الشيخ :
- « المحيط كبير جداً ، والقارب صغير لا يُرى في سهولة . »
- ولاحظ المتعة البالغة التي تمّ للمرء حين يجد امامه شخصاً محدّثه ، بدلاً من ان يخاطب نفسه أو يخاطب البحر ليس غير . وأضاف : « لقد افقدتك في هذه المعركة : ما الذي

اصطدته ؟ »

— « واحدة في اليوم الاول . وواحدة في اليوم الثاني .
واثنتين في اليوم الثالث . »
— « حسن جداً . »

— « سوف نعاود الصيد معاً ، منذ اليوم . »
— « انا لستُ محظوظاً . أنا لم اعد محظوظاً على
الاطلاق . »

— « قاتل الله الحظ ! سوف اجلب الحظ معي . »
— « وما الذي ستقوله اسرتك ؟ »
— « انا لا ابالي . لقد اصطدت امس سمكتين ولكننا سوف
نصطاد معاً بعد اليوم ، فلا تزال ثمة اشياء كثيرة ينبغي ان
تعلمها . »

— « يجب ان نصنع ربحاً ثاقباً ونصطلجه دائماً في الزورق .
في استطاعتك ان تصنع النصل من طرف نابض (راسور)
من نوابض « فورد » عتيقة . وفي ميسورنا ان نشحذه في
غواناباكوا . وينبغي ان يكون حاداً وغير ممزوج بعناصر غريبة
لكي لا ينكسر . لقد انكسرت مديتي . »

— « سوف آتي بمدينة اخرى ، وأشحذ نابض السيارة . كم
يوماً تستمر هذه الرياح العاصفة في ما تظن ؟ »
— « ربما ثلاثة ايام . وربما اكثر . »

فقال الغلام :

— « اذن فسوف اجد مجالاً واسعاً لإعداد كل شيء . بينما
تنصرف انت الى العناية بيدبك . »
— « أوه ، انا اعرف جيداً كيف اعالجها . في الليلة

البارحة نفثتُ شيئاً غريباً ، وشعرت بشيء بطقٍ في صدري .

فقال الغلام :

– « لا تنسَ ان تعني بهذا ايضاً : استلق في فراشك .
إيها الرجل العجوز ، وسوف أحمل إليك قيصك النظيف ،
وشياً تأكله . »

وقال الشيخ :

– « إحمل اليّ أباً من الصحف التي صدرت خلال غيبي
في البحر . »

– « يجب ان تستعيد نشاطك في سرعة لأن هناك أشياء كثيرة
يجب ان اتعلمها ، وفي استطاعتك ان تعلمني كل شيء . لقد
تعذبت كثيراً ، أليس كذلك ؟ »

فقال الشيخ :

– « أجل . كثيراً . »

فقال الغلام :

– « سوف آتيك بالطعام والصحف . استرح جيداً إيها
الرجل العجوز . سوف أقصد الى الصيدلية وأشتري لك مرهماً
تداوي به يديك . »

– « لا تنسَ ان تخبر بيدريكو ان رأس السمكة له . »

– « لا . لن انسى . »

وحين غادر الغلام الكوخ وهبط الطريق الرديئة المعبدة
بالصخور المرجانية كانت العبرات تتحدّر على خديه كرة
أخرى .

وذلك الأصيل وفّدت على « السطيحة » طائفة من السياح .

وفيما كانت إحدى السيدات تتأمل الشاطئ الحافل بصفائح الجعة الفارغة والأسماك الميتة ، رأت عموداً فقرياً ضخماً طويلاً أبيض ينتهي بلذب هائل يرتفع ويتأيل مع المد ، بينما كانت الريح الشرقية تثير البحر عند مدخل المرفأ .

والتفت السيدة إلى أحد النُدُل وسألته مشيرةً إلى عمود السمكة الفقري العظيم الذي انتهى إلى أن يصبح الآن مجرد نقابة تنتظر أن يحملها المد إلى عرض البحر :

— « ما هذا ؟ »

فقال النادل ، وهو يحاول أن يشرح بلغته الكوبانيسة ما حدث :

— « نيورون Tiburon . قرش . »

وحسبته يعني أن العمود الفقري الطويل كان لأحد الأقراش .
فقالت :

— « ما كنت أعرف أن للأقراش مثل هذه الأذنان الجميلة الرائعة الشكل ! »

وقال زميلها الذي يرافقها :

— « وأنا كذلك ما كنت أعرف ! »

وهناك ، في الكوخ ، القائم في أعلى الطريق ، كان الشيخ قد استسلم للرقاد ، كرةً أخرى ، مُكبّاً بوجهه على الصحف القديمة — شأنه في المرة الأولى — وقد قعد الغلام قربهِ وأنشأ يرنو إليه . كان الشيخ يحلم بالأسود .

الاستثمار التربوي

أ- في التحليل والمناقشة :

١ - «يبدو لي أنك صرتَ رجلاً قبل الأوان» .

اذكر ثلاثة أمور قد تجعل المرء يوصف بأنه صار رجلاً قبل الأوان .

هل تحب أن توصف بأنك تبدو أكبر من سنك؟ لماذا؟

٢ - «مع أن الشيخ كان على مثل اليقين من أن أحداً من أهل البلد لن

يسرقه، فقد قال في ذات نفسه إن في تركي محجّن وحريون في قعر قارب ما إغراء بالسرقة لا داعي له» .

هل توافق العجوز على ما قاله في ذات نفسه؟ لماذا؟

٣ - «وفكر: . . . وليس هذا هو وقت التفكير في ما يعوزك. فكّر في

الذي نستطيع أن نفعله بما في حوزتك من أسباب» .

كيف تجد ما فكر به العجوز؟ لماذا؟

٤ - «لاحظ رشاقة القارب وسرعته بعد أن تخفّف من معظم الحمل

الذي كان يُثقل خطاه» .

الإلمّ يؤدّي التخفّف من أثقال الهموم والمشكلات والأخطاء . . . ؟

اذكر ثلاثة أمور تساعد المرء على هذا التخفّف .

٥ - «وخاطب نفسه : الريح صديقتنا على أية حال . ثم أردف : أعني

في بعض الأحيان . وكذلك البحر الكبير بما فيه من أصدقاء لنا وأعداء» .

ما البُعد الذي قد تعطيه كلمة «الريح» هنا؟ والبحر؟
انطلاقاً من هذين البُعدين، هل تشاطر العجوز رأيه الوارد في هذه
العبارة؟ لماذا؟

٦ - «وخطب نفسه: ... ولكن ما الذي انتهى بك إلى الهزيمة؟
وأجاب بصوت عالٍ: لا شيء. كل ما في الأمر أنني أمعنت في الابتعاد عن
الشاطئ».

ربط العجوز بين الهزيمة والابتعاد عن الشاطئ. اربط الهزيمة في حياة
المرء بالابتعاد عن ثلاثة أمور مهمة ذكراً إيّاها وفق الأولوية.

٧ - «يجب أن تستعيد نشاطك بسرعة، لأن هناك أشياء كثيرة يجب أن
تعملها».

ربط العجوز هنا بين أمرين، ما هما؟ اكتب جملة مشابهة، مغيّراً
القسم الأول منها، واضعاً كلمات من عندك مرتبطة بكثرة الأمور التي على
المرء إنجازها.

٨ - «ناضل الشيخ، بيأس، ضد أعداء لم يكن قادراً على أن يراها،
لكنه يحسن بها ويسمعها».

من هذه الأعداء في القصة؟ اذكر ثلاثة أعداء معنوية قد ترغب في
النضال لتقاومها مع أنك لا تراها بل ترى آثارها السلبية في حياتك.

٩ - «المحيط كبير جداً، والقارب صغير لا يُرى في سهولة».
إذا اعتبرنا العالم (أو المجتمع) محيطاً والإنسان (الفرد) قارباً، فما
الأمور الثلاثة الأهم التي تساعد القارب - في هذه الحال - في مواجهة تيارات
هذا المحيط المختلفة المُرقة أحياناً وأمواجه المرتفعة الخطيرة أحياناً أخرى؟

١٠ - «كم أنا سعيد لعدم اضطرارنا إلى أن نقتل النجوم» .

ضع بدلاً من كلمة «النجوم» كلمة من عندك مناسبة للمعنى تدلّ على أمر معنويّ من أمور الحياة .

١١ - «إنّ كلّ يوم من الأيام يفتح للإنسان صفحة جديدة» .

هل ترى أنّ هذا القول صحيح؟ لماذا وكيف؟

١٢ - اذكر ثلاثة مواقف أو أقوال في القصة تدلّ على كلّ ممّا يلي :

- صبر العجوز أو قدرته على مواجهة الصعاب .

- إثارة الغلام العجوز على نفسه .

- معنى إنسانيّاً أو بعداً عميقاً في القصة ترك أثراً عظيماً في نفسك .

١٣ - في الصفحات الخمس الأخيرة من القصة أكثر من جملة قد تُعدّ

أبعادها من الأمور التي قد يستتجها القارئ أو يتعلّمها من القصة . اذكر ثلاث

جمل منها، وما استتجته أو تعلّمته من خلالها . اذكر ثلاثة أمور أخرى

وردت في القصة نظنّ (أو نعتقد) أنّك تستطيع تطبيقها في حياتك اليومية من

الآن فصاعداً، أو في حياتك المستقبلية بعد أن تتخرج في مدرستك وتلج

أبواب مدرسة الحياة .

ب - في الشرح والتفسير :

١ - ما المعنى المراد من المبارات التالية؟

- نظروا إليه وقد عصر الحزنُ قلوبهم .

.....
- لقد أدرك الآن أنّه هُزم هزيمة نهائية لن تقوم له بعدها قائمة .
.....

- كانت الأفراس تنفضّ على هيكل السمكة العظمي كما يتهافت
الفقراء على بقايا المائدة.

- وكأن السمكة استشعرت ديب الموت في أوصالها.

- قال الغلام: «أنت ساعتي المنبهة». فقال الرجل العجوز:
«الشيخوخة هي ساعتي المنبهة».

٢ - فسر معاني الألفاظ المكتوبة باللون الأسود في ما يلي:

- راقب خيوطه فألفاها تنحدر:

- إبقَ حيثُ أنت:

- خلا عينيه:

- نصطاد عدداً غير يسير:

- أنشأ عدد من الصيادين يسخر:

- يتحدثون في كياسة:

- حملت السمكة وكانت ما تزال غضة المود:

- انساب القارب وتبدأ عبر المياه الداكنة:

- يخفف به وطأة الجبل الذي أنقض ظهره:

- كأنك تجتث بالفأس شجرة من الأشجار:

- نظر بعينين ناضحتين بالثقة:

- طفق الناس يدخلون الغرفة:

- لأن يديه كانتا تميزان الماء:

- أدرك أن القوم آوؤا إلى مضاجعهم:

- - هَبَّتِ الرِّيحُ رُخَاءً:
- - أَدْرَكَ مَبْلَغَ الْإِهْيَاءِ الَّذِي اسْتَبَدَّ بِهِ:
- - رَاقِبِ الْأَسْمَاكَ وَهِيَ تَتَجَسَّسُ مِنَ الْمَاءِ الْكَرَّةَ تَلَوُ الْكَرَّةَ:
- - كَانَ يَسْتَشْعِرُ ازْدِرَاءً وَدَيْبًا لِذَلِكَ الضَّرْبِ مِنَ السَّلَاحِفِ:

ج - فِي اللَّفْظِ وَالنَّحْوِ:

١ - هَاتِ مُرَادِفًا لِكُلِّ مِمَّا يَلِي، وَاضْبِطْهُ بِالشَّكْلِ:

- | | | |
|---------------------|---------------------------------|--------------------|
| = مُشْرِعٌ | = إِرْبَاءٌ | = بَزَغَ |
| = حَافِلٌ | = وَخْدَانًا وَزَرَافَاتٍ | = نَشَجَ |
| = مُتَعَذِّرٌ | = لَسْتُ أَبَالِي | = الْوَهْنُ |
| = مَعْتَرِه | = لَا رَيْبَ | = الْهَرَاءُ |
| = بَاسِلٌ | = لَا طَائِلَ تَحْتَهُ | = الْيَمِّمُ |
| = ثَمَّةٌ | = أَوْثَقَهُ بِهَا | = الْحَمَامُ |

٢ - هَاتِ أَضْدَادَ الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةِ، وَاضْبِطْهَا بِالشَّكْلِ:

- | | | |
|------------------|---------------------|---------------------|
| # أَخْفَقَ | # اسْتَأْنَفَ | # مَذْعُورَةٌ |
| # أَتَذَرُ | # وَلَجَ | # تَزُدُّهُ |
| # أَرْخَى | # دَرَى | # رَفَقَ |
| # انْحَنَى | # عَسِيرٌ | # غَضِبْتُ |

٣ - هَاتِ الْجَمْعَ لِكُلِّ مِمَّا يَلِي، وَاضْبِطْهُ بِالشَّكْلِ:

- | | | |
|------------------|-------------------|-------------------|
| : شَعَاعٌ | : إِعْصَارٌ | : خَيْشُومٌ |
| : نَسْمَةٌ | : سَارِيَةٌ | : فَلَكَ |

٤ - هاتِ المفرد لكلِّ ممَّا يلي، واضبطه بالشكل :

براغيث : لقائف : الثَّدوب :
كُتبان : مواشير : الثَّدل :

٥ - ضع خطأً تحت الكلمة المختلفة في ما يلي من كلِّ سطر، ثم اذكر

السبب :

- أَقْلُ - يَقْلُ - قَلِيلٌ - يَقْلُ - قَلٌّ
- ظَلٌّ - ظَلِيلٌ - ظِلٌّ - مِظْلَةٌ - تَظَلَّلَ
- نعيم - نعمة - نَعِمَ - تَنَعَّمَ - نِعَمَ
- الدعاء - لَنْ أَدْعَ - لِأَدْعُ - الدعوة - الدعاة

٦ - هاتِ المؤنث لكلِّ ممَّا يلي، واضبطه بالشكل :

عجوز : جَوْعان : الأصغر :
الأفضل : الكبير : الآخرين :
الرجال : أحدهما : الأبيض :

٧ - علِّل طريقة كتابة الهمزة في ما يلي :

أضواء :
دماؤها :
الخطيئة :
تراءت :
جنى :

«**الشيخ والبحر**» هي القصة الخالدة التي فاز فيها الأديب العالمي، همنغواي، بجائزة نوبل 1954. إنها ملحمة النضال الإنساني ضدّ عوامل الطبيعة، وسيمفونية انتصار القلب الكبير على اليأس والقنوط...

«**الشيخ والبحر**» هي بإجماع النقاد أروع ما خطّه أرست همنغواي. إنها على حدّ قول ناقد «الصنڊاي تايمز» أثر كامل من الوجهة الفنيّة - أثر ليس في ميسورك أن تحذف منه جملة أو تضيف إليه جملة ويبقى للعمل الفنيّ جلاله ورؤيته.

القصة مُفرّغة في قالب أنيق فيه ومضات من الفلسفة، وفيه نَفحات من الشعر، وهو الأسلوب الذي أحلّ همنغواي مقام الصدارة بين أدباء العصر الحديث.

تتضمّن هذه السلسلة:

- من مؤلّفات مصطفى لطفي المنفلوطي:
- العبرات
- الفضيلة
- الشاعر
- في سبيل التاج
- من مؤلّفات مي زيادة:
- كلمات وإشارات
- ابتسامات ودموع
- المساواة

- من مؤلّفات جرجي زيدان:
- الأمين والمأمون 1-2
- المملوك الشارد
- جهاد المحبين
- من مؤلّفات ميخائيل شولوخوف:
- الدون الهادئ

www.malayin.com

978-9053-43-798-3

01312



9 789953 637983 3